الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة محمد بوضياف المسيلة
قسم الفلسفة

العنوان:

الأســـاس الأخـلاقي للـدين عنـد كانـــط

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

إعداد الطالبة:
ـ بن قينة وردة

إشراف الدكتورة:
ـ بورنان خيرة

الموسم الجامعي: 2016/ 2017

إهداء

أهدي ثمرة جهدي و اجتهادي .....

إلى النور الذي يضيئ حياتي ويذلل أمامي صعاب الحياة

إلى.....أمي

التي أهدتني زهرة عمرها حبا وطواعية، وزرعت في نفسي الأمل وروح الاستمرار في الدراسة.

إلى من علمني الصبر والكفاح

أبي الغالي(أحمد)

إلى اللذين أحاطوني بحبهم

إخوتي: بختة، صفاء، مروة، سناء، والبرعم الصغير قصي.

وإلى جدتي الغالية و كل أعمامي وأخوالي كل باسمه.

شكر وعرفان

الحمد والشكر لله الذي أعاننا على إنجاز هذا العمل

أتقدم بالشكر الجزيل والامتنان الوافر للأستاذة المشرفة على عملي هذا

"بورنان خيرة"

على توجيهاتها العلمية ونصائحها وإرشاداتها القيمة لتي أفادتني وساعدتني

على إنجاز عملي هذا.

و أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل أساتذة قسم الفلسفة الأجلاء.

كما أشكر كل من كان سندا وعونا لي في إنجاز هذا العمل **"صديقاتي"**

(سارة، فطيمة، سميحة، فريال، آمال، عبلة).

و أوجه الشكر الجزيل للأخ **"شوقي داود"**.

و لا يفوتني في هذا المقام أن أوجه كل عبارات الشكر للعم العزيز **"مرادة محمد الحبيب "**.

مـــقدمـــة

مقدمـة:

انشغل الفكر الفلسفي على مر العصور لبيان العلاقة القائمة بين الاخلاق والدين ،ولقد كان فلاسفة الغرب من الذين نظرو في هذه الصلة لكن مواقفهم اتسمت بالاختلاف الذي وصل حد التناقض فيما يخص تبعية الأخلاق للدين وأيهما يؤسس الآخر .

وإذا كانت الفلسفة الغربية المسيحية في العصور الوسطى تجعل الدين أساس للاخلاق على اعتبار ان الدين هو المرجعية الاساسية فإن تحولا جوهريا قد حصل في العصر الحديث ،لقد اصبح الدين محل دراسة ونقد ومساءلة وحتى رفض من طرف العديد من الفلاسفة والعلماء .

لقد طال الشك الديكارتي حتى وجود الله لكن ديكارت أثر السلامة وتحاشي الخوض في المسائل الدينية خوفا من رجال الدين والكنيسة ،وهذا الخوف يكن ليقف حاجزا امام سبينوزا فقد كان اكثر جرأة في محاكمة الدين محاكمة عقلية ،بل انه من الاوائل الذين تجرؤوا على تكذيب التوراة واعتبروها محرفة ومتناقضة وغير منطقية .

والثابت في تاريخ الفلسفة الحديثة أن اللحظة السبينوزية لم تكن هي اللحظة الوحيدة التى انتقد فيه الدين بل إن الفيلسوف الالماني كانط سيشكل اللحظة الثانية التى سيقع فيها التساؤل عن قيمة الديانات التاريخية واهميتها بالنسبة للانسان .

وضمن مشروعه الأساسي ، ألا وهو مشروع اخلاق الواجب سيحاول وضع الدين ضمن هذا المشروع من خلال أهم كتبه "الدين في حدود مجرد العقل" 1793، ولأجل الفهم اكثر لموقف كانط من إشكالية علاقة الدين بالاخلاق جاء هذا العمل الموسوم ب" الأساس الأخلاقي للدين عند كانط".

وسأحاول الاقتراب من موقف كانط من خلال طرح الإشكالية التالية :**هل يمكن ان تكون الاخلاق أساس للدين ؟وهل يمكن الحديث عن الدين الاخلاقي كما تصوره كانط؟**

بالإضافة إلى بعض التساؤلات الفرعية:

1 – ماهي وظيفة الفلسفة النقدية عند كانط؟

2– فيما تكمن طبيعة القيمة الأخلاقية عنده وما هي أكثر الخصائص التي تميزها؟

3– كيف تكون الأخلاق فرضا لوجود الدين؟

4– إذا كان الدين عند **كانط** دين أخلاقي فما دوره في تحقيق السلام العالمي؟

وفي محاولة للإجابة عن تلك التساؤلات المطروحة قسمنا بحثنا هذا الى ثلاثة فصول كل فصل تندرج تحته ثلاث عناصر أساسية وأخرى فرعية، فحاولنا في **الفصل الأول** الإلمام بفلسفة **كانط** من خلال العودة الى حياته وأعماله وقراءاته السابقة عن ظهور فلسفته النقدية ومراحل تطورها ومجالاتها .

_ أما **الفصل الثاني** فقد عرضنا فيه الأخلاق التي عرف بها **كانط** وهي أخلاق الواجب في أسسها وقواعدها ومن خلال هذا توصلنا الى حلقة الربط بين فكرة الواجب الأخلاقي والدين لدى **كانط**.

_ أما بالنسبة **للفصل الثالث** فقد خصصناه للدين الأخلاقي عند **كانط** كبديل للأديان التاريخية فتتضح في التفرقة بينهما وإيضاح اكثر للدين الاخلاقي على انه الدين البشرية الاوحد ودوره في تحقيق السلام العالمي.

وضمن هذه الدراسة اتبعنا المنهج التحليلي من خلال عرض الافكار الأساسية في فلسفة **كانط** ككل قمنا بدراستها وتحليلها لأفكار ثانوية وتبسيطها قدر المستطاع حتى يتسنى لنا فهمها واستيعابها.

ولقد اعتمدنا في بحثنا هذا على جملة من المصادر من بينها كتاب **كانط** الموسوم **"الدين في حدود مجرد العقل"** إضافة إلى المصادر النقدية الثلاث، كما اعتمدنا مجموعة من المراجع من بينها دراسة عبد الرحمن بدوي حيث كانت تقتصر على التربية والدين فكانت بعنوان "فلسفة الدين والتربية عند كانط".

وهنالك دراسات أخرى تهتم بالدين الأخلاقي والسلام العالمي لفريال حسن خليفة بعنوان "الدين والسلام عند كانط"، في دراسة تسلط الضوء على العلاقة بين الدين والأخلاق ليصبح دين أخلاقي يحقق السلام.

_ولقد كانت من أسباب اختيارنا للموضوع حب المعرفة والإطلاع على الفيلسوف **كانط** وفلسفته النقدية التي كانت اشهر الفلسفات تداولا الى سلاسة الموضوع فالصلة بين الاخلاق والدين موضوع شيق فيه ميزة عن باقي مواضيع الفلسفة الأخرى.

_ونضيف سبب أخر يتمثل في سعينا إلى الكشف عن هذه العلاقة لدى الفيلسوف كانط هل كانت نظرته كباقي الفلاسفة أم كانت له نظرته الخاصة وبالفعل كان ذلك.

الفصل الأول:كانط وتأسيس الفلسفة ا لنقدية

*أولا:من هو الفيلسوف كانط؟

1- سيرته الذاتية

2- مؤلفاته

3- المنابع الفكرية لفلسفته

*ثانيا: الفلسفة النقدية ومراحل تطورها

1- نشأة الفلسفة النقدية

2- مراحل تطورها

*ثالثا:مجالات الفلسفة النقدية

1-النقد في مجال المعرفة

2-النقد في مجال الجمال

أولا: من هو الفيلسوف كانط؟

1- سيرته الذاتية

ولد **كانط** في مدينة كينجسبرج "konigrberg" في بروسيا الشرقية في 22 أفريل سنة1724 من أسرة برجوازية يرجع أصلها إلى أسكتلندا كان والده سراجا مجتهدا وصدوقا في عمله، أما والدته فكانت شديدة التدين حريصة على سماع مواعظ فرنس شولتس (مدير معهد فريديريك)[1]، وقد كانت من أتباع حركة التقوية وعلى قدر كبير من الورع وقد تركت والدته تأثيرا عميقا في نفسه، فالتقوية هي ما نلمسه دوما في فكر **كانط** وشخصيته، وقد تردد إيمانويل الصغير على المعهد الفريديريكي الذي ألحقته به أمه – بين عام1733-1740[2].

واستمر فيه حتى سنة 1740 حيث تعلم الكلاسيكيات الرومانية ونصوص الأدب اللاتيني الشعرية والنثرية، أما في الجامعة فقد حضر محاضرات شولسن في علم اصول الدين، وفي سن الثلاثين حصل على شهادة الماجستير عام 1755 ثم عين مدرسا في الجامعة فألقى دروسا في المنطق والميتافيزيقا والرياضيات، والقانون الأخلاقي، علم الأخلاق، اللاهوت النظري، وعلم الإنسان، الجغرافيا الطبيعية، ثم عين أستاذا للمنطق عام1770 حتى عام 1796[3].

وفي سنة 1780 أصبح عضوا في مجلس الشيوخ الأكاديمي ثم عضوا في الأكاديمية الملكية للعلوم في برلين سنة1787 ثم تولي عمادة كلية الآداب وكان مديرا للجامعة مرتين، وتوفي في 12 فبراير سنة 1804 ودفن في قبو الأساتذة في مقبرة جامعة كينجسيرج، ثم

---

[1] – عبد الرحمن بدوي: **موسوعة الفلسفة** ، ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت،1984، ص269.

[2] – جورج طرابيشي: **معجم الفلاسفة** ، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت،1987، ص513.

[3] – عبد الرحمن بدوي: **موسوعة الفلسفة**، ص269.

أنشأ له ضريح في سنة1880، وفي سنة 1924 أقيم له ضريح جديد، لكن في سنة1950 وبعد استيلاء روسيا على بروسيا الشرقية سرق ناووس **كانط** ولم يعثر له على أثر بعد ذلك[1].

2- مــؤلــفاتـه

1- رسالته في المبادئ الأولى للمعرفة الميتافيزيقية1755.
2-الأساس الممكن للبرهان على وجود الله الذي يعود تاريخه الى سنة1763.
3- في أحلام آراء مفسرة بأحلام الميتافيزيقا سنة1766.
4- ملاحظات حول الحس الجميل والجليل التي تعود إلى سنة1763.
5- المحاولة لإدخال تصور الكليات السالبة إلى العلم،سنة1763.
6- رسالته الشهيرة في صورة العالم المحسوس والمعقول وفي مبادئهاسنة1770.
7- نقد العقل الخالص سنة1781.
8- مقدمات لكل ميتافيزيقا مستقبلية تريد أن تكون علما سنة 1783.
9- ما الأنوار سنة1784.
10- فكرة تاريخ كلي من وجهة نظر كوسموبوليتيه1784.
11- نقد العقل العملي سنة 1788.
12- أسس ميتافيزيقا الأخلاق سنة1785.
13- الأصل المحتم للجنس البشري1786.
14- استعمال المبادئ الغائية في الفلسفة سنة 1788.
15- نقد ملكة الحكم سنة1890.
16- مشروع السلام الدائم سنة1790.
17- الدين في حدود العقل المحض سنة 1793.[2]

---

[1] - عبد الرحمان بدوي: **موسوعة الفلسفة**، ص270.

[2] - جورج طرابيشي: **معجم الفلاسفة**، ،ص513.

3- المنابع الفكرية لفلسفته

هناك العديد من المؤثرات والعوامل التي تبلورت من خلالها أفكار **كانط** فجاءت فلسفته تحمل طابع السياق التاريخي والفلسفي الذي ساد في تلك الفترة أي عصر التنوير نذكر منها:

أ_النشـــــأة الدينـيـة:

يعتبر الجانب الديني من أهم منطلقات الفلسفة لدى **كانط**، فلقد تشبع به منذ صغره، إذ كان والداه على قدر كبير من التقوى والفضيلة ينتميان إلى شيعة بروستانتية تدعى شيعة التقوى تتمسك بالعقيدة اللوثرية الأساسية القائلة إن الإيمان يبرر المؤمن، وترى أن محل الدين الإرادة لا العقل وتعلي من شأن القلب والحياة الباطنية[1]. وهذا يعني أن أتباع مذهب التقوى البروتستانتية كانوا يرفعون من قدرة الحياة الباطنية للنفس ويقدسونها فقد نما **كانط** وفكره الفلسفي على هذا النحو من الدين الذي يعطي له صبغة المتدين التقي المحافظ وهذا في ظل مذهب التقوى البروتستانتي.

و **كانط** نفسه يعترف بأثر هذه التربية في نفسه، خاصة الك التي تلقاها من أمه إذ يقول: « **إن أنسى فلن أنسى أمي التي كانت أول من غرس بذرة الخير في نفسي وتعهدتها بعنايتها فهي التي فتحت قلبي لتأثيرات الطبيعة، و أيقظت مفاهيمي الأخلاقية، و قامت بتوسع نطاقها مثلما أن تعاليمها قد مارست أثرا مستمرا ومفيدا في حياتي**»[2].

ولم تكتف والدة **كانط** بما كان يتلقاه ابنها من تربية دينية منزلية لذلك قامت بدمجه في سن مبكرة في مدرسة تابعة للمذهب البروتستانتي وذلك ليشرب مبادئ هذا المذهب على حق. ومن خلال تأثره العميق بمذهبه البروتستانتي فقد أصبح معارضا للاحتفالات والطقوس الدينية من حيث المبدأ، فلا الشهادة بالإيمان، و لا التوسل بالأسماء المقدسة ولا أي مراعاة

---

[1] – يوسف كرم: **تاريخ الفلسفة الحديثة**،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،القاهرة،2012 ،ص221.

[2] – نقلا عن: دليلة عبد الجبار: **طبيعة الحرية عند كانط من خلال فلسفته النقدية**، رسالة ماجستير،إ. عبد الرحمن بوقاف، جامعة الجزائر،2004/2003،ص79.

للطقوس الدينيـة يمكـن أن تسـاعدك فـي الظفـر بـالخلاص، وعنـدما كـان رئيسـا لجامعـة كونجزبرج كان دائما متوعكا عندما تكون مشاركته الدينية[1].

ب_تأثير نيوتن

يظهر تأثير نيوتن(1642_1727) على **كـانط** في الإعجاب الشديد بالعلم النيوتني الذي كان يمدحه في كل موضع بالإضافة إلى أن الشيء الذي طالما أدهشه إلى ابعد الحدود هو كيف استطاع نيوتن أن يقيم علم الفيزياء على أسس راسخة؟ وكان يعتبر ذلك بمثابة الحدث التاريخي الأكبر في عصره لأنه كان يعلم أن اليقين صعب و أن التوصل إلى نتائج موثوقة في المجال العلمي أمر بعيد المنال، وعندما أدرك ان نيوتن استطاع تحقيق ذلك شعر بالفرح واعتبر ذلك انتصارا للبشرية لهذا أصبحت الفلسفة الكانطية غطاء فلسفي لفيزياء نيوتن، فالمقولات كما تصورها **كانط** ليست في الحقيقة سوى استعادة لحقل المعرفي للعلم النيوتني وتصوراته[2].

ولهذا أصبحت فيزياء نيوتن الدعامة الأساسية التي وجد فيها **كانط** المشروعية العلمية والعقلية التي يستطيع ان يؤسس عليها نظريته في المعرفة باعتبارها مرجعية للدفاع عن المنطلقات والمبادئ القبلية لفلسفته النقدية بالإضافة إلى انه اعتمد هذا في بناء نظريته الأخلاقية كذلك فإذا كان **نيـوتن** قد استطاع التوصل إلى أسس راسخة في المجال الطبيعي فإننا نستطيع ان نتوصل إلى أسس ثابتة على جانب من اليقين والصدق للأخلاق في المجال الإنساني.

---

[1] – وانت كرستوفو أندرجي كليموفسكي: **أقـدم لـك كـانط**، تر: أمام عبد الفتاح، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة،2002، ص12.

[2] – بن حجبة عبد الحليم: **القـيم الأخلاقيـة بـين المطلـق والنسـبي**، رسالة ماجستير، إ.بوشيبة محمد، جامعة وهران،2014/2013، ص41.

ت- تأثير هيوم

لقد كان تأثير"هيوم" (1711-1776) على **كانط** شديدا نتيجة ما أثاره من نقد وشكوك حول مبادئ العقلانية التي نشأ عليها كانط وهذا ما جعله يقول بأنه قد أيقظه من سباته الدوجماطيقي. و يظهر التأثير الهيومي من خلال التناظر الموجود بين مشروعي هيوم و كانط من خلال العناوين الرئيسية لأعمالهما، فقد اشتملت رسالة هيوم في الطبيعة البشرية على ثلاث أبحاث أحدهما: تناول فيه الفهم الإنساني ثانيهما: تناول فيه العواطف وثالثها: تناول فيه الأخلاق، أما كانط فتتوزع فلسفته النقدية بين ثلاث كتب تأتي مناظرة تماما لأعمال هيوم كالآتي: نقد العقل المحض ونقد ملكة الحكم، ونقد العقل العملي[1].

لاشك أن كانط عندما تحدث عن فضل هيوم في إيقاظه من سباته الدوجماطيقي فلا بد أن يكون هذا له علاقة بفكرة النقائض التي أخذها عن هيوم لأن اكتشاف وقوع العقل في التناقض هو ما أفاد **كانط** في النهوض بالفلسفة وذلك بواسطة منهجه النقدي الذي امتحن به العقل [2].

خلاصة القول يمكن أن نعتبر دافيد هيوم المصدر الوافر بالنسبة **لكانط** وذلك لفكره الفلسفي العميق وأثره الواضح سواء لدى **كانط** أو عند الفلاسفة لاحقين به تجريبيون كانوا أو غيرهم من المذاهب والفلسفات الأخرى أي أن فلسفة **كانط** فلسفة تأثير وتأثر بمن كان سابقا له وهكذا تبقى الفلسفة تداول للأفكار والآراء وبعض الأطروحات ليزداد الإنتاج الفلسفي أكثر توسعا وشمولا وهذا ما اتسمت به الفلسفة الحديثة في تاريخها من خلال فكر روادها الذين كان هيوم و **كانط** أبرزهم فكان تأثير الأول واضح في عقلية الثاني وذلك من خلال إثارة الشكوك في ذهنه وخاصة فيما يعرف بمبدأ العلية.

---

[1] - محمد عثمان الخشت: **الدين والميتافيزيقا في فلسفة هيوم**، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص52.

[2]- المرجع نفسه ،ص 63.

ث- تأثير روسو:

يعتبر **جون جاك روسو** (1712-1778) مصدرا هاما ورئيسا في مصادر فلسفة كانط وهو ما تؤكد عليه الدراسات والأبحاث، فقد«**عثر على ورقة في أرشيف"إيمانويل كانط" مكتوبة بخط يده و فيها ملاحظة حول الشعور بالجميل والسامي ،جاء فيها: يجب ان نعلم الشبيبة احترام الفهم العامي لأسباب أخلاقية ومنطقية على حد سواء ،أنا شخصيا بطبيعة ميلي أشعر بتعطش شامل للمعرفة وبقلق متلهف للتقدم فيها أو بالرضا عن كل تقدم أقوم به، ولقد ولى زمن كنت احتقر الرعاع الذين يجهلون كل شيء، روسو هو الذي قادني إلى الصواب تلاشت هذه المزية التي تعمي القلب وأخذت أتعلم احترام الناس**» [1] .

كما وجد كانط في روسو الرجل الذي يريد أن يشق لنفسه طريقا يفلت به من الإلحاد الذي خيم بظلامه الحالك على النفوس فذهب إلى تفضيل الشعور على العقل، فيما يتصل بما هو فوق الحس من الموضوعات ولقد أراد كانط أن يتصدى هو أيضا لهذه المهمة الكبرى أراد أن ينقذ الدين من العقل وان يخلص العلم من الشك. كما تعلم **كانط** من روسو احترام وتقديس الطبيعة الإنسانية والتأكيد على أهمية القلب والوجدان[2].

ورغم التأثر الكانطي بروسو فهذا لا يعني عدم وجود نقاط اختلاف بينهما، خاصة **في مبادئ التربية فهي: « عند روسو تنبع من مسايرة الطبيعة بينهما عند كانط تنبع من فكرة الواجب المطلق غير المشروط بأحوال الطبيعة لهذا نرى لا توجد مشابهة بين آراء روسو وآراء كانط في التربية إلا في بعض التفاصيل التافهة والتي نحدها عند مؤلفين آخرين غير روسو، وما يمكن قوله في هذا الموضوع هو أن كانط انفعل بقراءة كتاب"إميل"فدعاه ذلك إلى التفكير في موضوع التربية»**[3].

---

[1]- إيمانويل كانط: **نقد العقل العملي**، تر: غانم هنا، المنظمة العربية للترجمة،لبنان،بيروت،ط1، 2008،ص13.

[2] - زكي نجيب محمود: **قصة الفلسفة الحديثة**، لجنة التأليف والترجمة والنشر ،القاهرة ،1936،ص 259_258.

[3] - عبد الرحمن بدوي: **فلسفة الدين والتربية عند كنت**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت، ص120.

ثانيا: الفلسفة النقدية ومراحل تطورها

1-نشأة الفلسفة النقدية

مهما تعددت التسميات و الأوصاف التي أطلقت على الفلسفة الكانطية، إلا أن الخصيصة الرئيسية والتي تشكل جوهر هذه الفلسفة هي الخصيصة النقدية، فهما قيل عن الطابع المثالي والطابع الترنسندنتالي الذي يطبع هذه الفلسفة إلا أنها في جوهرها ومنطلقاتها فلسفة نقدية إذ لم تكن سوى « **مجرد منهجية من أجل تعيين الحدود الدقيقة التي لم يصلح في نطاقها إستخدام العقل كأداة للمعرفة**»[1].

وإذا كان النقد في الاصطلاح العام معناه امتحان الشيء من جهة قيمته، فإن نقد العقل الخالص عند **كانط** هو امتحان العقل نفسه من حيث استعماله النظري، بغية الوصول إلى الاستعمال المشروع للعقل، ذلك أن هذا الأخير لا يعدو تعقل الأشياء المعطاة في التجربة وفقا للصور التي يفرضها الذهن على الأشياء، في مقابل الاستعمال غير مشروع للعقل وهو اعتبار تلك التصورات نفسها أمورا واقعية واعتبار تلك المبادئ حقائق عيانية[2]. و بموجب هذا النقد أدخل **كانط** العقل في قطيعة مع نفسه، جاعلا إيَّاه محل محاكمة ومساءلة، أي جعله محل نقد أيضا.

لكن عملية النقد عند **كانط** لم تتوقف عند حدود العقل النظري، بل شمل جميع مجالات فلسفته، كالمجال الأخلاقي والديني، والجمال.، ويتضح هذا الأمر من خلال مؤلفاته في هذا الشأن وهي كنقد العقل العملي، ونقد ملكة الحكم، والدين في حدود العقل.

لكن ماهي وظيفة الفلسفة النقدية عند **كانط** ؟ لو أمعنا النظر في الوظيفة التي تقوم بها الفلسفة النقدية« **لتبيَّن لنا بكـل وضوح أن للنــقد مهمة مزدوجة فهو يريد من ناحية أن يبرر العلم الذي استهدف لخطر جسيم من جانب الفلسفة التجريبة نفسها ويريد من ناحية**

---

[1]-محمد فتحي عبد الله: **الجدل بين أرسطو وكانط**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1995م،ص201.

[2]-عثمان أمين : **رواد الفلسفة المثالية في الفلسفة الغربية**، دار المعارف ،1967، ص60-61.

أخرى أن ينقذ الميتافيزيقا من الميتافيزيقيين أنفسهم»[1]، إذا غاية الفلسفة النقدية هي إصلاح الميتافيزيقا من خلال محاولة بناءها على أسس علمية صحيحة حالها حال العلوم الأخرى .

وترجع نشأة المشكلة النقدية عند **كانط** إلى سنة 1769، لكنها لم تتضح وتتحدد معالمها إلى حين صدور كتابه (نقد العقل الخالص) سنة1781.ومنذ ذلك الحين أرسى كانط مذهبه على دعائمه الكبرى وظل حتى وفاته متتبعا نتائج مقدماته، مطبقا لها على جميع المسائل التي شغلته في شبابه.

والسؤال الذي ولد الفلسفة الكانطية النقدية كلها هو: كيف أمكن أن يكون الوجود العيني موافقا للوجود الذهني ،أي ما لشروط الواجب توافرها في الأشياء لتسويغ قيمة العلم والقيم الأخلاقية والجمالية والدينية وهذا السؤال ضروري عند استعمال العقل في تحصيل المعارف وتحليل أبعادها ومعرفة حدودها وبالتالي إن ما يميز الفلسفة الكانطية هو هذا السؤال الذي قد ساق **كانط** إلى وضع مشكلة العقل وضعا جديدا. وما أثار تفكير **كانط** وجعله يطرح هذا السؤال، هو عجز الميتافيزيقا التقليدية وعجز سيكولوجيا الذهن الإنساني ، فشرع هو في فحص نقدي لمشكلة العقل و مشكلة الميتافيزيقا[2].

يرجع ظهور الفلسفة النقدية إلى الصراع الدائر بين المذهبين العقلي والتجريبي حول مصدر المعرفة فإذا كان العقليون أكدوا أن مصدرها العقل والتجريبيين أكدوا أن مصدرها التجربة فإن الفلسفة«**النقدية لا تريد أن تكون حسية ولا ذهنية بالمعنى الضيق لهذين اللفظين، و إنما تريد في الامتحان الذي تجريه للعقل أن تكون ترنسندنتالية أي حاكمة ناقدة عادلة مجاوزة لجميع**

[1]– محمد فتحي عبد الله: **الجدل بين أرسطو و كانط**، ص201.

[2]– عثمان أمين: **رواد الفلسفة المثالية في الفلسفة الغربية**، ص69–68.

المـذاهب التقليديـة واقفـة موقفـا أعلـى تسـتطيع أن تنظـر منـه لتقـدير الصـواب والخطأ في كل واحدة من تلك المذاهب»[1].

وبالتالي فالفلسفة النقدية هي فلسفة تحليلية ليس لها ميل إلى كل من الفلسفتين العقلية والتجريبية، بل هي فلسفة توفيقية تعمل على فك الخصومة بين الطرفين العقلي والتجريبي وهذا ما يميزها عن غيرها من الفلسفات الأخرى .

وأكثر خاصية تميز النقدية لدى **كـانط** أنها تشمل جميع ميادين المعرفة الإنسانية(العلم، الأخلاق، الفن، الجمال) في مختلف المباحث(الوجود والمعرفة والقيم) فالعلم والأخلاق مثلا «**أمران قاما في ذهن كانط واعتبارهما حقيقتين لا نزاع فيهما يمكن التوفيق بينهما، فالأخلاق والعلم أمران واقعيان ووجودهما هو نقطة البداية عند الفيلسوف لكن المشكلة كيف يمكن التوفيق بينهما؟ ذلك أن الأخلاق تتطلب عالما من الأشياء تتجاوز المحسوسات أما العلم فإنما يقوم على الرياضيات والتجربة وهنا نجد العلم والأخلاق متناقضين»**[2]. وهذا يعني أن تناقضهما (العلم والأخلاق)يعتبر نقطة البداية في الفلسفة النقدية باعتبار أن المشكلة النقدية تكمن في إمكانية التوفيق بينهما.

وتقوم الفلسفة النقدية على الأسئلة الثلاث المشهورة وهي:

1- ما الذي يمكنني أن أعرفه؟ ويمثل مشكلة المعرفة.

2- ما الذي ينبغي أن أعمله ؟ويمثل المشكلة الخلقية.

3- ما الذي يمكنني أن اماله؟ ويمثل المشكلة الدينية.[3]

أحدث **كانط** بكتابه "نقد العقل الخالص" ثورة كبرى في عالم الفلسفة مفادها «**أن الفكر حاصل بذاته على شرائط المعرفة وأن الأشياء تدور حوله لكي تصير موضوع إدراك وعلم**

---

[1]- عثمان أمين: **رواد الفلسفة المثالية في الفلسفة الغربية**، ص 62.

[2]- إميل بوترو: **فلسفة كانط**، تر: عثمان أمين، الهيئة العامة للكتاب، مصر، 1972، ص14.

[3] -إيمانويل كانط: **مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة**، تر: نازلي إسماعيل، موفم للنشر،1991، صXIII.

ولا يدور هو حولهما كما كان المعتقد من قبل وهذه هي الثورة التي أحدثها كانط في عالم الفكر وشبهها بالثورة التي أحدثها كوبرنيك* في عالم الفلك»[1] .

وهذا يعني أن «**"كوبرنيك" قد فسر الحركات الظاهرة للأجرام السماوية مفترضا أنها إنما تقوم على حركة المشاهد على الأرض يعني بذلك أن الكواكب ثابتة لها في ذاتها وإنما الرائي هو الذي يفترض الحركة فيها لأنه هو الذي يدور».[2]**

لقد أراد **كانط** إقامة فلسفة على أساس علمي، أو أحداث ثورة كوبرنيكية تتمثل في استبدال فكرة انسجام بين الذات والموضوع بمبدأ خضوع ضروري من الموضوع للذات إن الاكتشاف الجوهري هو أن هناك ملكة المعرفة مشرعة وأن ثمة شيئا في ملكة المعرفة، هكذا فإن العقل يكشف أن لديه قوى جديدة[3].

وبالتالي فإن **كانط** قد حقق ثورة كبرى«**حين قلب الفلسفة: بعد أن كان الفكر يتبع الأشياء ويسايرها صارت الطبيعة كلها هي التي تتبع الفكر من معرفتنا به. على الأقل وتسايره وغدا الفكر هو الذي يصنع العالم، ويملي قوانينه على الكون الحسي ذاته»[4].**

---

* كوبرنيك(1473_1543)عالم الفلك بولندي يعتبر أحد علماء الفلك القلائل الذين تركوا أعظم أثر في الحركتين العلمية والفلسفية طوال قرون متعددة. أنظر: منير البعلبكي: **معجم أعلام المورد**، دار الملايين، بيروت، ط1، 1992، ص371.

[1]– يوسف كرم: **تاريخ الفلسفة الحديثة**، ص226.

[2]– عثمان أمين: **رواد الفلسفة المثالية في الفلسفة الغربية** ، ص72.

[3]–جيل دولوز: **فلسفة كانط النقدية**، تر: أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1،1997،ص25.

[4]– عادل العوا: **العمدة في فلسفة القيم**، دار طلاس، دمشق، ط 1 ،1986، ص91.

2- مراحل تطور الفلسفة النقدية

مرت فلسفة **كانط** النقدية بمرحلتين متميزتين كل التمايز فالأولى تسمي "بالمرحلة ماقبل النقدية" وهي فترة تبدأ سنة1755 وصولا إلى مؤلفاته في عامي1762-1763 فهذه الفترة يسميها البعض مرحلة تجريبية داخل المرحلة ماقبل النقدية أما المرحلة الثانية فهي مرحلة النقدية سنة 1770 حيث تطور فيها فكره وبلغ ذروته.

أ- المرحلة ما قبل النقدية(1755)

كان أول أثر لكانط في المرحلة ماقبل النقدية هو كتابه "إيضاح جديد لمبادئ الأولى للمعرفة الميتافيزيقية"سنة1755، وفيه يتجلى انتماؤه الواضح إلى مدرسة لايبنتز وفولف (1679-1754) [1].

يظهر تأثير **لايبنتز** على **كانط** بشكل كبير« **حيث تلقى كانط في الجامعة فلسفة ليبنتز وظل متحمسا لها سنوات كثيرة وأخذ عنه الكثير**»[2]، وهذا ماجعل هذه المرحلة تسمى بالمرحلة العقلية، فكان نيوتن أيضا كما سبق وأن ذكرنا من أبرز العناصر المؤثرة في هذه الفترة إلى جانب لايبتنز الذي عرف بواسطته نيوتن فقد نشر كانط في نهاية1755كتابا في التاريخ العام للطبيعة ونظرية السماء طبق فيه على أصل العالم القوانين التي فسر بها نيوتن النظام الراهن للعالم إذا كان في هذه الفترة تحت تأثير فولف ونيوتن ميتافيزيقيا وعالما طبيعيا ففي رسالة نشرها سنة 1755 دافع عن تصور الحرية وقال إن الإرادة لا تشذ عن مبدأ السبب الكافي وفي سنة 1758 نشر رسالة أيّد فيها تفاؤل (ليبنتز) القائل إن الله لكماله خلق بالضرورة خير العوالم الممكنة[3].

---

[1]- عبد الرحمن بدوي: **موسوعة الفلسفة**، ص280.

[2] - محمود زيدان: **كانط وفلسفته النظرية**، دار المعارف ،الاسكندرية ،ط3، 1979،ص27.

[3]- يوسف كرم: **تاريخ الفلسفة الحديثة** ،ص222-223 .

يرجع الفضل الأكبر لنشر فلسفة **ليبنتز** وتبسيطها إلى فولف الذي كان من الذين تعلم منهم **كانط** وتأثر بهم إلى جانب **ليبنتز ونيوتن** في هذه المرحلة بحيث كانوا بمثابة مصادر فكرية نحو وضع مذهب فلسفي خاص بكانط أي بفعل تأثره الشديد وذلك في بداية نشاطه الفكري وخاصة من طرف الفلسفتين(ليبتز)و(فولف) وعموما إن **كانط «لم يكن في هذه الفترة قد إتصل بعد إتصالا مباشرا بفلسفة"لوك"و"هيوم"لكنه كان يعيش في جو فكري قوامه "نيوتن"و"ليبنتز"ومن ثم نجد مؤلفاته في تلك الفترة في مجال العلوم الفيزيائية وجغرافية كان يوفق فيها بين"نيوتن"و"ليبنتز"توفيق التابع لها المتأثر الناقد»**[1]. في هذه المرحلة نفسها انتقل **كانط** من الفلسفة العقلية إلى فلسفة تجريبية فأصبح ينظر إلى الأولى نضرة نقدية على ضوء ما وصل إليه. فلم ينشر كانط شيئا بين عامي1755-1761حين كان معيدا في الجامعة ومنشغلا بالقراءة لكل من جون لوك ودافيد هيوم.

مهد **جون لوك**(1632-1704) لفلسفة **كانط** النقدية من خلال تعارضه مع أصحاب الموقف العقلي في تحديد مصدر المعرفة حيث «**تأثر كانط بـ لوك في شيئين أساسين: الأول تصور"لوك"للنقد أي الوظيفة الرئيسية للفلسفة تمحيص آراء السابقين وتطهير الأرض الموروثة قبل محاولة إقامة بناء جديد ومن ثم تحدي"لوك"للفلسفات العقلية أما الشيء الثاني هو ضرورة البداية بالخبرة الحسية لإقامة أي بناء معرفي أو ميتافيزيقي تأثر ب"لوك"في هذين الأمرين وإن أنكر فيما بعد الموقف الفلسفي الثاني»**[2]. وفي ظل التطورات الحاسمة في هذه المرحلة تطور فكر كانط سنة1769 بتاثير من هيوم ذلك أنه قد نبهه إلى مشكلة الكلية والضرورة والأحكام وكان **كانط** حتى ذلك الحين يؤمن بأن التجربة تكفل كلاهما، ولذلك شك هيوم وقد نبهه إلى مافي هذا القول من خطأ أو مبالغة[3].

---

[1] – محمود زيدان: **كانط وفلسفته النظرية** ،ص32.

[2] – المرجع نفسه، ص31.

[3] – عبد الرحمن بدوي: **موسوعة الفلسفة**، ص281.

وفي هذه المرحلة نشأ **كانط** بين أحضان المذاهب العقلية التي تعلى من شأن العقل وتعطيه الأولوية في بناء المعارف ثم اضطلع على فلسفة جون لوك وهيوم فكانت فلسفة هذا الأخير بمثابة نقطة تحول وهذا ماعترف به **كانط** في فضل "هيوم" عليه الذي أخرجه من "**الدوجماطقية***" إلى التشكيك في الكثير من المبادئ التي قام عليها في المرحلة العقلانية وبصفة خاصة مبدأ العلية ومدى إرتباطه بالتجربة .

ب-المرحلة النقدية:(عام1770)

تعتبر هذه المرحلة لدى الدارسين والمهتمين أبرز مراحل فلسفة "**كانط**"ففي هذه المرحلة تظهر فلسفة **كانط** وروحها النقدية وذلك من خلال مؤلفاته في هذه الفترة التي أصبحت نقدية خالصة لا يشوبها منهج آخر غير النقد.

«يمكن أن تعتبر الأعوام الثلاثة أو الأربعة التى أعقبت عام 1765فترة استكمل فيها كانط معرفته عن ليبنتز ومعرفته بالخلافات بين ليبنتز ونيوتن من جهة وبينه وبين لوك من جهة أخرى، وحاول كانط أن يحدد موقفه من المتخاصمين»[1] وهذا يعنى أن الفترة ما قبل (1770) ببضعة أعوام كانت فترة صمت فقد كان **كانط** يسترجع قواه ا لفكرية ويستكملها ليظهر في مرحلة جديدة وفق تصورات ومعطيات سابقة حاول إن يبين موقفه من التعارض القائم بين التجريبيين والعقليين فأرسى على التوفيق بينهما. و« **وضع كانط ثمرة عمله في هذه الفترة في بحث نشره عام 1770باللغة اللاتينية ،إفتتح به حياته الجامعية كأستاذ**

* **الدوجماطقية:** إتجاه يذهب إلى إثبات العقل وقدرته على المعرفة وإمكان الوصول إلى اليقين وإذا كان مذهب الشك يوصي بالامتناع عن إثبات الحقائق فإن الدوجماطقية ترى أن العلم الإنساني لايقف عند حد وتؤكد قدرة العقل على المعرفة والتوصل إلى اليقين. أنظر: إبراهيم مذكور: **المعجم الفلسفي**، الهيئة العامة لشؤون المطابع، القاهرة، 1983، ص85.

[1]- محمود زيدان: **كانط وفلسفته النظرية** ،ص36.

للمنطق والميتافيزيقا* عنوانه "في صورة العالمين المحسوس والمعقول ومبادئهما "حدد كانط في هذا البحث الأصول العامة لموقفه الفلسفي، وموقفه من ليبنتز ونيوتن ولوك وهيوم ومن ثم يعتبر كثير من المؤرخين لكانط هذا البحث فاصلا بين طور الإعداد وطور الإنتاج»[1].

حاول **كانط** التوفيق بين العالمين المحسوس والمعقول بالرغم من الاختلاف الواضح للمعرفتين الحسية والعقلية، والاختلاف بينهما يظهر من خلال«**أن المعرفة الحسية تؤدي بنا إلى الكيفيات أما المعرفة العقلية فتلوح كأنها ظهرت على الأشياء كما هي في نفسها فالمحسوس والمعقول متخارجان متغيران**»[2].

ثالثا: مجالات الفلسفة النقدية

شمل النقد عند **كانط** العديد من المجالات سنكتفي في هذا الفصل بالوقوف عند مجال المعرفة ومجال الجمال.

1-النقد في مجال المعرفة

أ- نقد الميتافيزيقا

كان الهدف الأسمى لكانط من خلال كتابه "نقد العقل الخالص"هو إصلاح الميتافيزيقا وإعتبارها كباقي العلوم بعدما كان قد أنكر الميتافيزيقا التقليدية ومنهجها لذلك «**أراد أن يمهد السبيل إلى الميتافيزيقا تقوم في المستقبل خالية من أوزار الماضي وأخطاءه إنه لم يرد بكتابه في نقد العقل أن يقدم تفكيرا ميتافيزيقيا إيجابيا بل أراد أن يتخذ منه أداة تعينه على**

---

* الميتافيزيقا: إسم يطلق على جملة المعارف المستمدة من العقل وحده أي المعارف القبلية المؤلفة من المعاني المجردة والخارجة عن نطاق التجربة وعن نطاق الزمان والمكان. أنظر: جميل صليبا: **المعجم الفلسفي**، مادة: **الميتافيزيقا**، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت،1982، ،ص302.

[1] – محمود زيدان: **كانط وفلسفته النظرية** ،ص36.

[2] – يوسف كرم: **تاريخ الفلسفة الحديثة** ،ص225.

كشف الطريق السوي للبحث الميتافيزيقي المنتج والبحث الميتافيزيقي إنما يدور حول الموضوعات الثلاثة هي: الله والحرية والخلود»[1].

كانت النقطة الأولى **لكانط** في إصلاحه للميتافيزيقا الإقرار بأنها استعدادات طبيعية نابعة من الذات الإنسانية حيث يقول كانط: « **إنها حتى لو لم تتحقق من حيث هي علم ،فإنها متحققة من حيث هي استعداد طبيعي وعدم الارتداد إلى تلك الأسئلة التي تدعو إلى الاستعمال التجريبي للعقل»**[2]، فهذا الأخير يجد نفسه مضطرا لتجاوز كل تطبيق تجريبي ممكن وذلك عند عجزه وقصوره في الإجابة عن الأسئلة الميتافيزيقية ومن هنا نجد "**كانط**" قد أقر بعجز العقل النظري عن بلوغ الحقيقة لكنه لم يجد غير العقل ذاته وهذا ما أعابه عليه منتقدوه.

ب- نقد مصدر المعرفة

يرى **كانط** أن مصدر المعرفة هي التجربة وذلك بواسطة الإحساس في حين أن الانطباعات الحسية وما ينشأ عنها ليست المصدر الوحيد للمعرفة أي يمكن إضافة العقل البشري لأن الإحساسات هي التي تنقل المعرفة الأولية(القبلية) إلى العقل من خلال عملية الإدراك قد نجد "**كانط** "إتفق مع التجريبيين لكنه أضاف للمعرفة ما يعرف بالعقل وبالتالي فالمعرفة مصدرها التجربة والعقل معا حيث يقول **كانط:**« **تبدأ كل معرفتنا مع التجربة ولا ريب في ذلك ،لأن قدرتنا المعرفية لن تستيقظ إلى العمل إن لم يتم ذلك من خلال موضوعات تصدم حواسنا فيسبب من جهة حدوث التصورات التلقائية وتحرك من جهة أخرى نشاط الفهم عندنا إلى مقارنتها وربطها أو فصلها وبالتالي إلى تحويل الانطباعات الحسية إلى معرفة بالمعرفة التي تسمى التجربة»**[3].

---

[1] – زكي نجيب محمود: **موقف من الميتافيزيقا**، دار الشروق، بيروت، ط2، 1982، ص47.

[2] – ايمانويل كانط: **نقد العقل المحض**، تر: موسى وهبة، مركز الانماء القومي، ص53.

[3] – المصدر نفسه، ص45.

ميّز **كانط** بين هذين المصدرين وذلك لتأكيد على أنه التجربة ليست هي الميدان الوحيد الذي يحدد فهمنا فهي تثير العقول بهذا النوع من المعرفة، ويضيف **كانط** أنه«**من دون الحساسية لن يعطي لنا أي موضوع ومن دون الفاهمة لن يفكر شئ**»[1]، ويضيف أيضا«**المعرفة هي مادة وصورة :المادة وتؤمنها لنا الانطباعات الحسية هي معرفة بعدية والصورة تؤمنها لنا ملكتنا العارفة التي تساعد على تمثل هذه الانطباعات وتأويلها ومعرفتها معرفة قبلية ومن هنا تتولد المعرفة التي يهدف كانط إلى إنشائها وهي المعرفة الترنسندنتالية** »[2].

وما نخلص إليه أن المادة تتماشى مع الإحساس ويمكن أن نعتبرها معارف بعدية، أما صورتها فهي تلك العلاقة الموجودة قبليا في أذهاننا يمكننا أن نصطلح عليها مصطلح "صورة المعرفة" وهنا يصل **كانط** إلى هدف من أهدافه المنشودة في هذا الطرح وهي الوصول إلى المعرفة الترنسندنتالية والمقصودة بها أن هذه المعرفة لها شروط قبلية وهذه الشروط لازمة في تحصيل المعارف وتتمثل في صور قبلية وليست بعدية« **فالصور القبلية للانطباعات الحسية تمثل الزمان والمكان بإعتبارهما معطيان قبليان ضروريان للتجربة والتصورات القبلية تمثل المقولات التي تقسم بدورها إلى أربعة مقولات: الكم والكيف، الإضافة، الجهة**»[3].

وهذا يعني أن هذه المقولات الأربعة تساهم في تحديد أفكارنا وذلك من خلال الفهم بالإضافة إلى أن "**كانط**" يطبق أفكار هاته المقولات الأربعة على كل الظواهر ولكي يرتب"**كانط**" قائمة المقولات فإنه يرجع إلى تصنيف أرسطو للأحكام ولكل مقولة من هذه المقولات ثلاث مقولات أخرى متخصصة أكثر.

---

[1] – ايمانويل كانط : **نقد العقل المحض** ،ص75.

[2] – إيمانويل كانط: **مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة** ،صXIV.

[3] – المصدر نفسه، صXIV.

2- النقد في مجال الجمال

النقد في مجال الجمال لدى **كانط** يتمحور في كتابه الثالث "**نقد ملكة الحكم**" الذي ناقش فيه قضية الجمال بهدف إيجاد شروط أولية للحكم الجمالي على أسس نقدية كما سبق له وأن فعل مع النقديين الآخرين في العلم والأخلاق، لأن ملكة الحكم تعتبر الواسطة بين المعرفة والإرادة أما فيما يخص «**المبدأ الذي تعتمد عليه ملكة الحكم هو مبدأ الغائية وهو المبدأ الذي يسمح بقيام الحكم ويختلف هذا الحكم عن أحكام الذهن في أنه لا يعتمد على مقولات سابقة يطبق بواسطتها الكلي على الجزئيات لكنه يتعلق بحالات خاصة فردية لكي ينتقل إلى كلي**»[1] وهذا يعنى أن هذا المبدأ هو الذي يتناسب مع الحكم الجمالي ويتلاءم مع كل حالة سواء عامة أو خاصة.

اتبع **كانط** منهجه الترنسندنتالي الذي طبقه على المعرفة والأخلاق فطبقه كذلك على فكرة الجمال لذلك فإن«**مبدأ غائية الطبيعة مبدأ ترنسندنتاليا لأن مفهوم الأشياء من حيث أنها تقع تحت هذا المبدأ عينه ،ليس سوى المفهوم الخالص لموضوعات المعرفة**»[2].

يفرق **كانط** بين نوعين من أحكام«**الحكم الجمالي والحكم الغائي ويصاحب كلا الحكمين شعور اللذة مصدره أن كلا الحكمين يتصف بالقصد والغائية من وعي العقل** »[3].فالأول هو حكم يبنى على جمال الطبيعة والثاني هو حكم يبنى على غايات حقيقية واقعية للطبيعة فهي غائية دون غاية.

بالإضافة إلى هذا فإن الحكم الجمالي«**قد يحتوي على الشروط الذاتية العامة للمعرفة بوجه عام، والإحساس هو الأساس المحدد لمثل هذا الحكم، بيد أن هناك نوعا واحدا فريدا مما يسمى بالإحساس لا يمكنه أن يصبح مفهوما لموضوع ،وذلك هو الشعور**

---

[1] – أميرة حلمي مطر: **فلسفة الجمال أعلامها ومذاهبها**، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1997، ص109.

[2] – إيمانويل كانط: **نقد ملكة الحكم**، تر: غانم هنا، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2005، ص 79.

[3] – أميرة حلمي مطر: **فلسفة الجمال أعلامها ومذاهبها** ، ص109.

باللذة، وهذا الإحساس ذاتي خالص، في حين أن جميع الإحساسات يمكن أن تستخدم في المعرفة ،وهكذا فإن الحكم الجمالي هو ما يرتبط ارتباطا مباشرا بالشعور باللذة»[1]فهذا يعني أنني«**عندما أشعر بأن شيئا جميلا فإنني لا أسأل نفسي عن المصلحة أو الفائدة التي يمكن أن أجنيها منه، أو عن الواجب الذي أدين به لأي واحد بسببه، أي أنني أنسى نفسي تماما في الموضوع، إن الشعور بالجمال تثيره موضوعات في الوعي بما تربطه بالحساسية والفهم»**[2] وبالتالي فإن ارتباط الذوق الجمالي بالشعور هو ارتباط وثيق دون أي غرض أو منفعة وذلك عن طريق الإحساس بما هو جميل أو غير جميل.

استطاع "**كانط** " في كتابه"نقد ملكة الحكم "أن يعطي للفن قيمة خاصة فكان«**أول من وهب الفن ميدانه المستقل فكل المذاهب السابقة قد بحثت عن مبدأ الفن في أحد المجالين: مجال المعرفة النظرية أو مجال الحياة الأخلاقية ويكفى لتوضح هذه التفرقة التي تنتهي إلى استقلال الإستطيقا عند كانط أن نرجع إلى خاتمة مقدمته لكتابه نقد الحكم فنجده يفرق بين المجالات الثلاث مجال الطبيعة ومجال الحرية أو الأخلاق ومجال الفن»**[3].فالنسبة لمجال الطبيعة مبدأه يكمن في ارتباط العلة بالمعلول أو مجال الحرية فيكون مبدأه في الرغبة في الخير وفى الخير الفن الذي مبدأه الغائية.

وينقسم كتابه "**نقد ملكة الحكم**" إلى قسمين إثنين: الأول يختص في نقد الحكم الجمالي من خلال الحكم على الجميل والجليل والثاني يختص في نقد الحكم الغائي« **فيفحص نقد الحكم الإستطيقي مشاعر الجميل والجليل ،يجد كانط في الجمال عنصرا قبليا ذا طبيعة غير عادية ،فلو أن شخصا قال هذا الشيء يروقني فإنه يقرر فقط حبا شخصيا لكن إذا**

---

[1]– حنان علي عواضة: **الفلسفة النقدية لكانط طبيعتها وتطبيقاتها**، العدد203، جامعة بغداد، 2016، ص253.

[2]– وليم كلي رايت: **تاريخ الفلسفة الحديثة**، تر:إمام عبد الفتاح، التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2010، ص285.

[3]– أميرة حلمي مطر: **فلسفة الجمال أعلامها ومذاهبها** ، ص 111.

قال هذا الشيء جميل فإنه يعني أنه ينبغي على الآخرين أن يتفقوا معه»[1]هذا يعني أن الحكم الجمالي يشترط أن يكون حكم متفق عليه فعندما أقول"هذا البيت جميل "يكون هذا شعوري الخاص مقتنعا بأنه سوف يلقى إعجابا من طرف الآخرين فيؤيدون هذا الرأي أي إصدار حكم جمالي جماعي.

ثم يأتي **كانط** ليعرض القسم الثاني نقد الحكم الغائي الذي حاول أن يصف فيه«**قصور وجهة النظر الآلية عن الطبيعة عندما بذلت المحاولة لتطبيقها على الكائنات الحية، ولأن هذا التفسير للحياة ضروري له أهمية بالنسبة لأغراض علمية فإنه لا يمكن أن يفسر على الإطلاق تفسيرا آليا»**[2]ومن هنا يعتقد كانط أن هناك غائية في الطبيعة ككل وأن الكائن الحي تصنعه وتحدده أغراضه الداخلية لأنه ليس بآلة مصنوعة للأغراض الخارجية.

وفي تحليل الجميل والجليل من خلال حكم **كانط** عليها في المعنى الجمالي«**فكلاهما بصفتهما إيضاحين لحكم جمالي ذي صلاحية شاملة إلى أسباب ذاتية أي الحساسية من جهة حيث إن الهدف منهما الفهم التأملي لكنهما من جهة ثانية على تعارض معها في نفسها لأنهما ينحوان نحو أهداف العقل العملي ومع ذلك هما متحدان في ذات واحدة كونهما غائيتين بالنسبة إلى الشعور الأخلاقي ،فالجميل يعدنا لكي نحب شيئا دون منفعة، حتى ولو كان الطبيعة والسامي يحملنا على تقديره عاليا حتى ولو جاء مخالفا لمنفعتنا»**[3].

هذا يعني أن الجميل من حيث ارتباطه باللذة، فهو يرتبط مع الشعور باللذة دون أي مصلحة رغم مخالفة الجليل في بعض الأحيان لمنافعنا وتبقى نقطة اتحادهما في الشعور بما هو أخلاقي.

---

[1]– وليم كلي رايت: **تاريخ الفلسفة الحديثة** ، ص 285 .

[2] – المرجع نفسه، ص 286.

[3]– إيمانويل كانط : **نقد ملكة الحكم** ،ص 181.

الفصل الثاني: أخلاق الواجب أسسها وطبيعتها

*أولا: أسس وقواعد القانون الأخلاقي

1- الإرادة الخيرة والواجب الأخلاقي

2- قواعد القانو ن الأخلاقي

3- من فكرة الواجب إلى لميتافيزيقا والدين

*ثانيا: طبيعة وخصائص القيم الأخلاقية

1- طبيعة القيم الأخلاقية

2- خصائص القيمة الأخلاقية

أولا: أسس وقواعد القانون الأخلاقي

1-الإرادة الخيرة والواجب الأخلاقي:

أ-الإرادة الخيّرة

أسس كانط فلسفته الأخلاقية على مبدأ "**الإرادة الخيرة**" التي اعتبرها الشرط الضروري والمعيار المحدد للأفعال الأخلاقية، بالإضافة إلى أنها المبدأ الأخلاقي الذي يمكن أن نعده بمثابة الدعامة الأساسية لكل أخلاقية حيث يقول كانط «**من بين الأمور التي يمكن تصورها في هذا العالم أو خارجه ،لا يوجد شيء يمكن عده خيرا على وجه الإطلاق ودون قيد اللهم شيء واحد هو الإرادة الخيرة**»[1]هذا يعني أن الإرادة الخيرة هي وحدها الخير الأقصى وذلك باعتبارها خيرة في ذاتها غير مشروطة أو مقيدة في علاقتها مع الأمور الأخرى، أي إنها مطلقة في خيرها وليست نسبية متغيرة تتخطى جميع الظروف والأحوال بخيرها الذي يبقى أصيل فيها دون شيء آخر.

وكثيرة هي الأشياء التي قد نعتبرها خيرا، كالشجاعة والذكاء، والجاه والثروة والسلطة، وبالتالي نسعى إلى التميز بها أو تحصيلها لكن خيرتها في نظر **كانط** مرتبطة بالإرادة التي توجهها، فكثير من الناس يستخدمون ذكاءهم في القيام بأفعال شريرة وفي هذه الحالة لا يكون الذكاء خيرا على الإطلاق، بل شرا لأن الإرادة التي تم استخدامها إرادة شريرة[2].

والإرادة الخيرة«**هي الشئ الوحيد الذي يمكن أن يعد خيرا لأنها لا تستمد خيرتها من المقاصد التي تحققها أو الغايات التي تعمل من أجلها، إلا من باطن ذاتها باعتبارها الشرط الضروري الكافي لكل أخلاقية وعلى حين أنه إذا انعدمت الإرادة الطيبة من أي**

---

[1]- إيمانويل كانط: **تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق**، تر: عبد الغفار مكاوي ،منشورات الجمل ،1963، ص37.

[2]- محمد مهران رشوان: **تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية**، دار قباء للطباعة، القاهرة، 1998، ص157.

عمل خلقي فانه يصبح عندئذ عديم الصبغة الأخلاقية»[1]وبالتالي فهذه الإرادة التي قد اعتمدها كانط هي إرادة لا تهتم بما تصنعه أو تحققه ونقصد هنا الأهداف منها والغايات بل هي إرادة تعلو على جميع مخلفاتها وأثارها أي أن مقياس الإرادة في نظر"كانط" ليس ما تحققه من منافع أو مصالح فهذه الأمور لا تدخل أبدا في تحديد الإرادة الخيرة لان هذه الأخيرة تهتم بالخير النابع من صميم نيتها وهذا ما يجعلها ذات صبغة خلقية مادامت خيرة بذاتها لا بعواقبها أي أنها ضرورية لصبغ أي فعل بالصبغة الأخلاقية.

ومن هنا نجد«**أن الإرادة الخيرة حتى ان لم تنجح في تحقيق ما نريد تظل تسطع كجوهرة ثمينة لها قيمتها في ذاتها ومعنى هذا أن ما يكون جوهر الإرادة الخيرة ليس هو إنتاجها أو نجاحها أو سهولة بلوغها للغرض المنشود وإنما هو النية الطيبة التي لا يعد لها أي خير من الخيرات في هذا العالم»**[2].

يوجد كثير من الناس لديهم إرادة صادقة في فعل الخير، لكن ظروفهم قد لا تساعدهم على ذلك بل قد تمنعهم إلا أن هذا لا ينقص من شأن إرادتهم وقيمتها حتى وان لم يصلوا إلى مبتغاهم وبالتالي هذه الإرادة قد لا يحالفها الحظ في النجاح لكنها رغم ذلك تبقى محافظة على قيمتها ولمعانها الذي لا يختفي كجوهرة التي يكون بريقها في ذاتها.

إذن فالإرادة الخيرة هي الأساس لكل فعل أخلاقي«**ومعنى هذا إن الإرادة الخيرة ليست مجعولة لكي تكون نافعة، بل هي مجعولة لكي تكون جديرة بالتقدير»**[3] ذلك إنها

---

[1] – زكرياء إبراهيم: **المشكلة الخلقية**، مكتبة مصر، ط1 ،1969، ص165 .

[2] – المرجع نفسه، ص166 .

[3] – إيمانويل كانط: **تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق** ،ص38.

إرادة تعمل على التقدير والإجلال لا غير ذلك من منافع أو مصالح وبالتالي«**فليست الأخلاق هي ما يعلمنا كيف نجعل أنفسنا سعداء ولكن هي ما يجعلنا جديرين بالسعادة**»[1].

ونفهم من خلال هذا أنه ليس الغرض الأسمى من هذا هو السعادة وإنما الواجب الذي تتحدد به جدارتنا بالسعادة واستحقاقنا لها لأن الإرادة تكون خيرة بالفعل عندما ترتبط ارتباطا وثيقا بالواجب الذي يعد عصب الأخلاق عند كانط بالإضافة إلى أنه لا خير في الدنيا سوى الإرادة الخيرة التي تأتي وفقا لقانون الأخلاق المتأصل في نفوسنا وليس الغرض بما تعود به هذه الإرادة من مصالح أو منافع بل المقصد هو بلوغ سعادة الناس أي تهدف إلى الكمال سواء كان هذا متبوع بلذة أو ألم.

بالإضافة إلى معارضة كانط «**للمذهب الطبيعي العقلي الذي يعتبر الفعل وسيلة إنتاج السعادة لصاحبه وكأن الغايات والمقاصد هي التي تأتي فتخلع من الخارج على الإرادة كل ما هو لها من قيمة، ولو كانت السعادة هي غاية الإنسان ،لكان العقل مجرد عقبة في سبيل تحققها: لأن الغريزة والميول الفطرية أقدر على تحقيق السعادة من العقل ،إذا فالإرادة التي تضع نفسها في خدمة أمثال هذه الغايات، لكن تكون ذات قيمة مطلقة، بل ستكون قيمتها نسبية كالوسيلة سواءً بسواء**»[2].

هذا يعني أن كانط يرفض القول باعتبارات النفعية التي أقرت بها بعض المذاهب الأخلاقية الأخرى فالسعادة أيضا هي مطلب تحققه الغرائز والميولات والأغراض الشخصية وليس العقل الذي قد سبق واعتبره كانط مصدرا لإرادتنا من خلال توجيه الأعمال والأفعال الأخلاقية، ومن هنا فإذا كانت الإرادة قد وضعت هذه السعادة من بين أهدافها فستفقد قيمتها المطلقة وتصبح نسبية متغيرة أي تفقد خيرها الذي تحمله في ذاتها.

---

[1] – زكي نجيب محمود: **قصة الفلسفة الحديثة** ،ص299.

[2] – زكريا إبراهيم: **المشكلة الخلقية** ،ص165.

وبالتالي لا ننسى السمة الطاغية على هذه الأخلاق لدى كانط «**حيث تظهر الصبغة المسيحية التي تتسم بها نظرية كانط في الإرادة الخيرة مادام المعول في الأخلاق عنده هو الإخلاص ونقاء القلب وطهارة الضمير، وبهذا المعنى يمكننا أن نقول أن أخلاقية الفعل عند كانط لا تقاس إلا بأخلاقية صاحب هذا الفعل وعلى الرغم من هذا فالفارق الكبير بين الأخلاق المسيحية بصبغتها العاطفية أو الوجدانية والأخلاق الكانطية بصبغتها العقلية الإرادية**»[1]، هذا يعني أن الأخلاق المسيحية أخلاق ترتكز على العاطفة الخالصة لكن كانط لا يعتمد لا على العاطفة ولا الإحساس في فلسفته الأخلاقية فهذه الأخيرة تشدد وترتكز كل التركيز على صيغة العقلية وهنا تظهر نقطة الاختلاف بين **كانط** والأخلاق المسيحية بالرغم من أنها تتفق معها في موضوع الإخلاص ونزاهة القلب ونقاء وطهارة الضمير وهذا ماكان قد نشأ عليه **كانط** ونمى فكره على أساسها أي نزعة التقوى الدينية التي قد تشبع بها منذ صغره بالإضافة إلى أن إطاعة الضمير كان أهم ما تلقاه من عند نظيره **روسو** واتفق معه فيه لكن رغم هذا إلا أنه أبى أن يعتمدها ويهمل العقل فهو يرى أن الفعل الأخلاقي لابد أن يكون صوريا أو عقليا خالصا، أي أنه لابد أن يكون مجردا تماما من أية عاطفة ومن أية منفعة.

ومن هنا نصل إلى أننا لو«**أوتينا العقل ملكة عملية :أعني ملكة عليها أن تؤثر أثرها على الإرادة فإن مصيره الحق ينبغي أن يتجه إلى بعث إرادة خيرة فينا لا تكون وسيلة لتحقيق غاية من الغايات بل تكون إرادة خيرة في ذاتها من هذا كان وجود العقل أمر تقتضيه الضرورة المطلقة، قد لا تكون هذه الإرادة هي الخير الأوحد ولا الخير كله، ولكن**

[1] – زكريا إبراهيم: **المشكلة الخلقية** ،ص166.

ينبغي أن تكون بالضرورة الخير الأسمى والشرط الذي يتوقف عليه كل خير أخر بما في ذلك النزوع إلى السعادة»[1].

وبالتالي يمكن القول بأن الإرادة الخيرة إرادة عاقلة وذلك باعتبار أن العقل هو المصدر الحقيقي الذي يؤثر على إرادتنا لتصبح هي الخير الأسمى وشرط لازم لكل خير من الخيرات إذن فالإرادة الخيرة ماهي إلا ملكة عقلية تستند عليها في سلوك أفعالنا الأخلاقية ويمكن أن تعتبرها الدعامة الأولى الخلقية وإذن هذا يعني أن جميع التصورات الأخلاقية لدى كانط تستمد أصلها بصفة أولية تماما في العقل ليصل بها المثالية والسمو لذلك نجد«**أن العقل العملي هو الذي يكشف لنا القيمة ويحملنا على إنقاذها ويجعلنا ندخل بواسطة الفعل الأخلاقي إلى عالم متعال يتعذر علينا معرفته»**[2] وبالتالي أن ما يسميه كانط بالعقل العملي هو عقل يشرف على أفعال أخلاقية عملية حيث يأخذ شكل الإرادة وذلك يكون وفق قانون أخلاقي بعيد عن تجارب حسية أو عاطفية بالإضافة إلى هذا يمكن ان يكشف لنا عن مدى خيرة إرادة أم شرها.

لهذا نجد كانط في تفريقه بين الإرادة الخيرة والإرادة الشريرة «**فيرى أن الأولى محبة تهدف إلى البناء والانسجام ،بينما الثانية كراهية تستهدف الهدم والفوضى، كما ان الإرادة الخيرة ترمي إلى ضبط الميول الفردية وتنظيم الدوافع ولميول والنزعات وبذلك تفقد الأفعال التي تصدر عنها كل مالها من قيمة أخلاقية لما تنطوي عليه من الذاتية والأنانية»**[3] نلاحظ هنا أن الإرادة عند كانط ليس بالضرورة أن تكون إرادة واحدة ومغزاها واحد يكمن

---

[1] – إيمانويل كانط: **تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق** ،ص43.

[2] – عادل العوا: **العمدة في فلسفة القيم** ،ص92.

[3] – محمد مهران رشوان: **تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية** ،ص158.

خيرها دائما وإنما هناك نوعان من الإرادة: إرادة خيرة عادلة تعمل على ضبط الدوافع والميول الشريرة كالذاتية وأخرى ظالمة لاأخلاقية تعمل على الهدم والتفرقة بفعل نواياها وخلاصة القول ان كانط يؤكد على الإرادة الخيرة التي يعتبرها جوهر الفعل الأخلاقي وبمثابة الدعامة الأساسية التي تحقق لنا كل ما هو أخلاقي حيث يرى كانط ان تحليل مفهوم الإرادة يرتد بنا إلى مبدأ أساسي واحد هو الواجب.

ب- الواجب الأخلاقي

يعتبر كانط أن الواجب محور الأخلاق الإنسانية وشرطا أساسيا يجب توافره في الإرادة الخيرة التي لا يمكن أن يكون لها شرط آخر غيره ذلك لأن هذه الإرادة لا تعمل في أفعالنا إلا بناء على نداء الواجب بالإضافة إلى أن الإرادة الخيرة لا يمكن ردها إلى سلطة خارجية وإنما يجب ان تكون ضمن سلطة داخلية تتمثل في الواجب العقلي ذلك لان الإرادة الخيرة هي التي تطيع الواجب في كل ميل لها، لهذا يصفه كانط بقوله «**الواجب أنت أيها الاسم السامي الكبير الذي لا تحوي في طياتك أي شيء يفتن بل تطلب الخضوع ،ومع ذلك أنت لا تهدد بشيء يثير في النفس ما يحدث نفورا طبيعيا ويرعبها لكي تحرك الإرادة بل أن تقيم فقط قانونا يجد هو نفسه مدخلا إلى النفس ويكتسب مع ذلك توقيرا لنفسه**»[1].

من خلال هذا الوصف يتبين لنا قيمة الواجب ومعناه لدى كانط من خلال ما يجمع بين صرامته كقانون ومحرك للإرادة فهذا هو الواجب الخلقي الذي ينطلق من الضرورة والإلزام بفعل من الإرادة الإنسانية لكن هذه ضرورة لا تطغى عليه.

والواجب في معناه العام«**هو ما طلب فعله على اللزوم والفرض ثبت الطلب اللازم فيه بدليل قطعي والواجب من حيث تعيين المطالبين بأدائه قسمان واجب ،عيني وهو الذي**

[1] – إيمانويل كانط: **نقد العقل العملي** ،ص163.

يطلب به كل مكلف كالصلاة وواجب كفاية والذي يجب على الجماعة كلها تحقيقه فإذا قام به بعضهم سقط الإثم عن الجميع كالطب الهندسة والزراعة والجهاد»[1].

هذا يعني أن الواجب بصفة عامة يتسم بطابع الإلزام والضرورة القصوى وهذه خاصيته المميزة من بين القيم الأخرى وهذا ما جعل منه أساس من أسس الأخلاق التي يمكن الاعتماد عليها فكان كانط أشهر المعتمدين على فكرة الواجب في نظريته الأخلاقية حيث يعرفه بقوله «**أنه ضرورة أداء الفعل احتراما للقانون وليس هذا الاحترام باعثا مضافا وإنما هو ينشأ فينا تلقائيا بفعل العقل نفسه، وما دام الفعل صادر عن الواجب لا يقع تحت تأثير أي ميل باطني، ولا يصدر من عن أي موضوع خارجي ،فلم يبقى إلا أن نقول أن احترام القانون هو الباعث الأخلاقي الوحيد وبالتالي فإنما يحدد الإرادة ليس هو أي مضمون تجريبي بل هو الصورة الخالصة للقانون»**[2].

وهذا يعني أن الواجب هو ذلك الاستعداد الخلقي الذي يتوافر لدى الإنسان بدافع الاحترام للقانون ومراعاته في أفعاله بمعزل عن أي اعتبار آخر كالمودة أو الرغبة أو المصلحة أي أننا نستطيع وصف الفعل الإنساني بأنه واجب عندما يكون نابع من ذاته ويراعي ويحترم القانون لذاته دون أي إكراه أو تحفيز خارجي لأن احترام القانون الأخلاقي وأداء الفعل بدافع منه هو الشيء الوحيد الذي يهب الفعل قيمة خلقية أما الدافع التجريبي المادي فليس له أي قيمة تتضمن ما هو خلقي.

إذا كان الواجب يتميز بكونه نوعا من الضرورة والإلزام فهذا هو ما جعل كانط يقول«**الواجب والالتزام هما التسميتان الوحيدتان اللتان يليق بنا أن نطلقهما على علاقتنا بالقانون الأخلاقي ،صحيح أننا أعضاء مشرعون في مملكة الأخلاق الممكنة بواسطة**

---

[1] – علي مولا: **الموسوعة العربية الميسرة**، ج3، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2010، ص 3566.

[2] – زكرياء ابراهيم: **المشكلة الخلقية** ،ص169.

الحرية والتي تقدم لنا كونها موضوع احترام بالعقل، لكننا في الوقت نفسه رعايا فيها ولسنا أصحاب سلطان»[1].هذا يعني أن الواجب والالتزام به هما الوحيدان اللذان يقدران على الوصول إلى القيمة الخلقية العالية من خلال ما يعرف بالحرية التي يتحكم بها العقل .

ويميز كانط بين الفعل المطابق للواجب والفعل الذي يتم بمقتضى الواجب «**وربما كان محل التفرقة بين هذين النوعين من الأفعال هو أن الفعل القائم على الواجب يتعارض مع الميول الطبيعية ،بينما يكون الفعل مطابق للواقع مسايرا لهذه الميول فالمحافظة على الحياة واجب ،ولكن منا ميل مباشر نحوها ،لذلك كان انشغال الناس بالمحافظة على حياتهم، يخلو من قيمة أخلاقية أصلية لأن المحافظة على الحياة هنا لم يأتي بمقتضى الواجب»**[2] .

إذن، كانط أعطى مثال المحافظة على الحياة لهذا النوع من الأفعال التي لا تكون لها قيمة أخلاقية ان لم تكن صادرة عن الواجب بالرغم من إنها تتطابق معه فهي ليست بدافع الاحترام للقانون وإنما من تحفيز آخر خارجي ويمكن ان يكون مطابق للواجب لكن دون مطابقته للاحترام بهذه الطريقة ميز كانط بين هذين النوعين من الأفعال أفعال مطابقة للواجب صادره عنه وتعمل بمقتضاه وأخرى غير صادرة عنه تعمل بتلقائية مباشرة لأن « **بعض الأفراد يعملون تأثير نزوع طبيعي نحو التعاطف أو المشاركة الوجدانية قد يأتون من الأفعال مالا ينطوي على أي قيمة خلقية ،إذا جاء سلوكهم مفتقرا إلى المبدأ الأخلاقي مبدأ الواجب الذي لابد للأفعال ان تصدر عنه ،وقد يكون الفعل الأحسن الذي يأتيه إنسان**

[1] – إيمانويل كانط :**نقد العقل العملي** ،ص158.

[2] – محمد مهران: رشوان: **تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية**، ص160.

لايشعر بأي ميل طبيعي نحو محبة البشر أشد اتصافا بالصبغة الأخلاقية بفعل رجل محب للبشر في سلوكه إلا عن مجرد ميل طبيعي[1]».

يرى كانط أن الفعل الصادر عن غير الواجب فهو صادر عن الشعور أو العاطفة فيصبح الفعل في هذه الحالة لا يملك أي صفه تدرجه ضمن ما هو أخلاقي حيث يقول كانط في كتابه نقد العقل العملي«**إنه لجميل ان يصنع الخير بدافع حب البشر والإحسان المتعاطف أو ان يكون المرء عادلا بدافع حب النظام ،لكن هذا ليس بعد المسلمة الحقيقية الأخلاقية لسلوكنا التي تليق بمنزلتنا بين الكائنات العاقلة كونها بشرا ، حينما نستبيح حقا لأنفسنا فلا نبالي عن غرور مزهو بفكرة الواجب»[2].**

بالإضافة إلى هذا نجد كانط يميز كذلك بين الفعل الخلقي والفعل الذي تحكمه القوانين والتشريعات «**فيرى أن من الممكن أن يأتي تصرف الفاعل مطابقا للقانون أو التشريع دون أن يكون جديرا بالصفة الأخلاقية وعلى سبيل المثال القانون الذي يأمرنا بالمحافظة على ملكية الآخرين ،فما دام الفرد لا يسرق ولا يعتدي على أملاك الغير فهو يعمل بمقتضى القانون ،أما الذي يقول :إن واجبي يقضي علي ألاّ أسرق لذلك فلن أسرق احتراما لهذا الواجب فهذا وحده الذي يعد عند كانط فعلا أخلاقيا»[3]** هذا يعني أن الإنسان قد يقوم بأفعال تتفق مع القانون لكنها لا تحمل أي صفة أو معنى خلقي وليوضح كانط هذا أعطى مثال السرقة وكيف يمكن ان يكون الامتناع عنها أخلاقيا أم قانونيا فهو يصبح أخلاقيا إذا كان نابع عن احترام الواجب أما إذا كان نابعا عن خوف من العقاب فهو فعل يحكمه القانون لا الواجب .

---

[1] – زكرياء ابراهيم :**المشكلة الخلقية**، ص168 .

[2] – إيمانويل كانط: **نقد العقل العملي** ،ص157.

[3] – محمد مهران رشوان: **تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية** ،ص161.

وبالتالي لا يكفي أن يكون الفعل متفقا ومتصلا بالواجب دون احترام الواجب نفسه لان هناك بعض الأفعال التي قد يقوم بها بعض الناس تبدو أخلاقية لكنها من وجهة نظر كانط ليست أخلاقية ولا تتصف بما هو أخلاقي أبدا وهي تلك الأفعال التي تتوقف على نتائج وغايات« **لأن الفعل الذي يؤدى بمقتضى الواجب يستمد قيمته لا من الهدف الذي يلزم تحققه به ،بل من القاعدة التي يتقرر تبعا لها فهو لا يعتمد على واقع موضوع الفعل ،بل على مبدأ الإرادة وحده ،ذلك المبدأ الذي بمقتضاه تم الفعل دون اعتبار إلى أي موضوع من موضوعات الرغبة»**[1] إذن فالواجب يرتكز على قاعدة تكمن فيما يعرف لدى كانط بالإرادة دون أي شيء آخر سواء في الرغبة أو السعادة.

ومن خلال هذا الوصف للواجب باعتباره قانونا أخلاقي مصدره الإرادة المنضبطة بمحددات العقل العملي وبالتالي إن مبدأ الواجب عند كانط نظريته الخاصة حيث يتسم ببعض الصفات أو الخصائص التي تجعله فريد من نوعه في أخلاقيته أولها:«**هو واجب صوري خالص، بمعنى أنه تشريع كلي أو قاعدة شاملة لا صلة لها بالتجربة وتغيراتها ،لأن التجربة لا تخبرنا إلا بما هو كائن ،أما ما ينبغي أن يكون فلا شأن للتجربة به وبذلك لا يقوم الواجب على أي اعتبار علمي تجريبي، بل هو مبدأ صوري بحت يقوم أولا وأخيرا على العقل الخالص وحده ،وهكذا يبتعد الواجب عن المنافع الفردية»**[2].

كانت هذه من سمات الواجب لدى كانط وتعني أنه يتصف بالشمول والكلية، حيث يقوم على العقل الخالص لا غير أي بعيدا عن كل الأهداف والمنافع بالإضافة إلى هذا هناك خاصية ثانية يتصف بها هذا الواجب، فهو واجب «**منزه عن كل غرض بمعنى أنه لا يطلب من أجل تحقيق المنفعة أو بلوغ السعادة بل هو يطلب لذاته ، ومعنى هذا أن علينا**

---

[1] – إيمانويل كانط: **مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة** ،ص232.

[2] – محمد مهران رشوان: **تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية** ،ص162.

أن نؤدي واجبنا ،فإذا ما اضطلعنا بأدائه كان علينا من بعد أن نبحث فيما إذا كان الفعل الذي حققناه يتضمن أو لا يتضمن الإيمان بإمكانية تحقق الخير الأقصى لذلك الشخص الذي هو جدير به »[1].

وبالتالي فالواجب لا يكون من أجل بلوغ السعادة لأن الأخلاق مطلبها أو هدفها ليس السعادة بحد ذاتها . وبالرغم من هذا تبقى الغائية صفة من صفات الواجب لدى كانط دون أن ننسى خاصية أخرى له «**فهو قاعدة مشروطة بمعنى أنه لا يقوم على أي شيئا آخر مادام هو الدعامة الأساسية التي يستند إليها كل حكم أخلاقي فالإنسان لا يكون فاضلا لأنه يحاول إشباع رغباته وان كان عليه ان يفعل ذلك ولكن الإنسان يكون فاضلا لأنه يحاول ان يطيع قانونا صالحا للبشرية جمعاء »**[2].

خلاصة القول أنه يمكن تحديد مجموعة من الخصائص الأساسية للواجب عند كانط منها أنه صوري خالص لا يشوبه شيء آخر، والواجب لا يقوم على أي اعتبار آخر غير ذاته أي قيمته تحدد صورته ،والواجب أيضا قاعدة غير مشروطة للفعل أي الفعل هنا هو أمر مطلق ومن هنا نصل إلى المفارقة التي أحدثها كانط بين الأفعال المشروطة والأفعال المطلقة « **فالأمر الشرطي يقول يجب أن تفعل كذا وكذا وإذا كنت تروم إنجاز هذه الغاية أو تلك والأمر المطلق الذي يقول أن ثمة نوعا معينا من الفعل ضرورة موضوعية يصرف النظر عن أية غاية والأمر المطلق تركيبي وأولي و يستنبط كانط طابعه من تصور القانون»**[3].

---

[1] – زكريا إبراهيم: **المشكلة الخلقية** ،ص181.

[2] – محمد مهران رشوان: **تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية** ،ص163.

[3] – برتراند راسل: **تاريخ الفلسفة الغربية**، تر: محمد فتحي الشنيطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية،1988،ص324.

إذن يميز كانط بين الأوامر المطلقة والأوامر الشرطية، فالأوامر الأولى في داخلها ليست مشروطة ولا مقيدة تطيعها الإرادة الخيرة لذاتها لأجل ما تحتويه في داخلها من خير، أما الثانية هي أوامر مشروطة ومقيدة تربط الفعل بغايات ودوافع خارجية، وتجعل قيمته ترتبط بما يحققه من نتائج، وبالتالي فالأوامر الشرطية لا يمكنها أن تكون أوامر للواجب وذلك بفعل الغايات والأهداف التي تسعى إليها ،بالإضافة إلى هذا إنها أوامر«**تنقصها الضرورة التي يجب أن تكون بموجبها مستقلة عن الشروط العرضية والعلقة بالنتيجة صدفة بالإرادة** »[1]،وبالتالي إن الأوامر الأخلاقية هي أوامر مطلقة قطعية غير مشروطة لأن ليس لها دافع غير الإرادة الخيرة بما فيها من خير لتصبح أمرا أخلاقيا من خلال طاعة هذه الأوامر والامتثال لها.

2- قواعد القانون الأخلاقي:

ومن خلال الأوامر المطلقة نجد كانط يضع ثلاث أوامر للأمر المطلق، يجب العمل بها حتى يكون الفعل الأخلاقي متطابق مع الواجب ويتفق معه ويعتبر هذه القواعد هي الدعائم الأساسية لفلسفته الأخلاقية الخالدة وذلك ليبين لنا طبيعة هذه ا لأوامر، وقواعد الفعل الأخلاقي وهي ثلاث: قاعدة التعميم، قاعدة الغائية، قاعدة الحرية.

أ-قاعدة التعميم:

«**يحتم علينا الأمر المطلق ان نقوم بالفعل وفقا لقانون عام يصلح للإنسان بما هو إنسان في كل زمان و مكان، لذلك صاغ كانط القاعدة الأولى على النحو التالي"اعمل دائما حيث يكون في استطاعتك ان تجعل من قاعدة فعلك قانونا كليا عاما للطبيعة**" »[2]والمقصود

[1]- إيمانويل كانط: **نقد العقل العملي** ،ص67.

[2]- محمد مهران رشوان: **تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية** ،ص166.

بهذه القاعدة أن سلوك الفرد لا يكون أخلاقيا بالمعنى الكامل إلا إذا كان قابلا للتعميم ومن ثم يتحول القانون كلي وقاعدة عامة يلتزم بها الناس في أفعالهم، ولا يمكن للسلوك الفردي أن يتحول لسلوك ايجابي إلا إذا اخذ بالواجب في معناه هذا مصنوع للإفادة والخير وبالتالي سيتحول لقانون كلى ومحل تقدير والتزام .

إذا كانط اعتبر هذه «**القاعدة أساسية ومبدأ لسائر القواعد الأخرى، وهي تعني ان المحك الأوحد للسلوك الخلقي هو إمكان تعميمه من غير تناقض، فإذا كان في وسعي أن أجعل من القاعدة التي استندت إليها في فعلي قانونا عاما لا يتعارض مع الواقع الخارجي أو الطبيعة، كان فعلا يسير بمقتضى الواجب**»[1].

يبرهن كانط على هذه ا لقاعدة ببعض الأفعال كالكذب أو الانتحار وخيانة العهد على إنها ليس أخلاقية تصدر عن أنانية الشخص المحب لنفسه فإذا أردنا ان نعممها نجد ما تتعارض مع طبيعتنا كالانتحار مثلا هو قرار يعارض مبدأ أنانية الشخص وحبه لنفسه على ان يصبح قانون كلي لهذا يمكن تعميمه بالإضافة إلى هذا فهو مبدأ معارض لمبدأ الواجب، إذا كانت هذه القاعدة الأساسية التي اعتبرها مبدأ أساس القواعد الأخرى.

ب-القاعدة الغائية:

وفي هذه القاعدة التي «**يستخلصها كانط من طبيعة القانون الأخلاقي وهي قاعدة أخرى تقوم على أساس ان الأمر المطلق لا يتعلق بغاية شخصية إنسانية عامة يتوخاها الإنسان بما هو إنسان في كل الظروف والأحوال وهي غايات في ذاتها وليس بالقياس إلى أفراد، فمن الخطأ ان يستخدم الإنسان إنسانا آخر كوسيلة لبلوغ غاية لأن الإنسان يجب**

[1]- محمد مهران رشوان: **تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية** ،ص167.

أن يعامل كغاية في ذاته وقد صاغها على النحو التالي"افعل بحيث تعامل الإنسانية ممثلة في شخصك أو أي شخص آخر كغاية لا مجرد وسيلة" »[1].

وهذا يعني أن الغاية من فعل الواجب هي إنسانية الإنسان في حد ذاته حيث لا يكون الهدف منه في مصلحة فرد أو جماعة بل مصلحة الجميع أي ،أن المصلحة لا تكون مصلحة شخصية كبعض المصالح والغايات التي تهدف إلى أغراض تخص شخص دون مراعاته للأفراد ،إذن لا يمكننا استخدام الناس لتحقيق أغراضنا لان هذه ليس من حقنا فالشخص يحاول الانتحار شخص غير اختلاقي لأنه جعل من شخصه مجرد وسيلة وليس غاية في حد ذاتها.

ج- قاعدة حرية الإرادة:

استخلص كانط هذه القاعدة من خلال القاعدتين السابقتين التي صاغها على النحو التالي:«**إفعل بحيث تكون إرادتك بمثابة مشرع يسن للناس قانونا عاما"تنص هذه القاعدة على ضرورة خضوع الإنسان للقانون باعتباره هو المشرع الوحيد له، وما دامت إرادة الإنسان تخضع للقانون، فلا بد أن تكون هذه الإرادة من حيث هي غاية في حد ذاتها لامجرد أداة أو وسيلة هي مصدر هذا القانون بحيث يكون له بمثابة خضوع لنفسها وحين يقول الإرادة هي المشرعة للقانون فهو يعني انه لديها من الاستقلال مايجعل منها إرادة حرة»[2].**

في هذه القاعدة نجد أن الواجب الأخلاقي الحقيقي يكون صادرا عن الإرادة الإنسانية ذاتها، حيث يلعب الإنسان دور المشرع لنفسه ويكون خاضعا وممثلا لهذا التشريع وملتزما به

---

[1]- محمد مهران رشوان: **تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية** ،ص169.

[2]- المرجع نفسه، ص170.

بفعل إرادته وهذا يعبر عن حرية الإرادة وحرية الذات الإنسانية حيث تخضع للقانون الأخلاقي والواجب الذي تشرعه لنفسها وهنا تكمن قيمة الحرية.

- **نقد نظرية الواجب عند كانط**

كانت نظرية الواجب عند **كانط** ذات أهمية بالغة في فلسفة الأخلاق وفي تاريخ المذاهب الأخلاقية الفلسفية حيث تتجلى أهميته هذه في الإرادة الخيرة التي أسس عليها **كانط** هذه النظرية بالإضافة إلى ضرورة القيام بالواجب وفقا لقانون يسميه كانط بالقانون الأخلاقي معبرا عن إعجابه الشديد به قائلا"شيئيان يملئان إعجابا السماء ذات النجوم فوق رأسي، والقانون الأخلاقي في نفسي"وبالرغم من شيوع نظرية الواجب ومدى سيطرتها في عالم النظريات الاخلاقية إلى إنها تعرضت إلى جملة من الانتقادات حيث يصفونها« **بأنها نظرية صورية متطرفة موغلة في التزمت والتشدد، مستبعدة للميول والوجدان ومهملة للتجربة الانسانية كما يحياها الناس في واقعهم، فكيف يمكن لنظرية أخلاقية أن تستبعد ميول الانسان وعواطفه مع أن التجربة تعلمنا أن السلوك الذي ينبع من الوجدان كثيرا ما يكون أنبل من سلوك يصدر عن العقل»**[1].

هذا يعني أن نقاد **كانط** يرفضون فكرة السلوك الصادر عن العقل لأنهم يجدونه قد أهمل ميول الشخص وعاطفته، فالفعل الصادر عن الوجدان يمكن ان نعتبره خيرا وربما يكون سلوك أعظم من السلوك الصادر عن العقل نفسه « **أما الفعل احتراما للقانون الأخلاقي وحده وخضوعا له فهو في نظر بعض النقاد قول غير معقول لأن العقل يلزمنا دائما بالبحث عن الحيثيات التي تصوغ القانون الذي يأمرنا بماذا نتصرف؟ وما الغاية من الفعل الذي نقوم به؟ إلى غير ذلك من أسباب يقبلها العقل»**[2].

---

[1] – محمد مهران رشوان :**تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية** ،ص172.

[2] – المرجع نفسه،ص173.

وفي نقد آخر تعرض له **كانط** في المسألة الصورية في الأخلاق من الألماني "**نيقولاي هارتمان**"(1882-1950)حيث يقول أن كانط « **قد نسب إلى القانون الأخلاقي مصدرا ذاتيا صرفا بحجة انه لا مفر من الاختيار بين الأمرين: فأما القول بان المبدأ الأخلاقي صادرا عن الطبيعة وإما القول بأن مصدره هو العقل لكن هارتامان يتساءل الا يمكن ان يكون للقانون الأخلاقي مصدرا آخر غير الطبيعة أو العقل** »[1].

يرى هذا الناقد أن **كانط** متوهم لفكرة القانون الأخلاقي الصادر عن العقل وإن من الأخطاء التي ارتكبها هو الدمج بين ما هو أولي وماهو عقلي.

أما بالنسبة إلى قواعد الامر المطلق فقد تعرضت بدورها لانتقادات متعددة حيث يرى "**شوبنهاور**" (1788-1860)«**إن القاعدة الأولى لا تمثل أمرا مطلقا بل هي امرا مشروط فهي تستند إلى مبدأ التبادل والدليل على ذلك ما يقوله كانط نفسه في**"**انني لا أستطيع مثلا تحويل الكذب إلى قانون عام ،لأن لا أحد عندئذ يصدقني كما ان الناس في هذه الحالة سوف يردون على تصرفي بمثله** »[2].

فهذه العبارة وعبارات أخرى يقولها **كانط** في نفس المعنى، يرى"**شوبنهاور**"إنها تستند إلى مبدأ التبادل، لأن في عبارات **كانط** هذه يود القول أن لم تريد الناس أن يسيئوا إليك فلا تسئ إليهم فتصبح الأخلاق لدى **كانط** أخلاق قائمة على حب الانسان لنفسه لأن احترامه للمبدأ الأخلاقي جاء خشية أن يصاب بأي أذى معنى هذا أنه يقي نفسه من الآخرين لا غير.

---

[1] – زكرياء ابراهيم :**المشكلة الخلقية** ،ص181.

[2] – محمد مهران رشوان : **تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية** ،ص174.

أما فيما يخص القاعدة الثانية فهي كذلك لم تسلم من النقد بما إنها معاملة للشخص البشري كغاية لا وسيلة لكننا كثيرا ما نعامل الناس كوسيلة، ويكون عملنا مشروع فعندما نتهم المجرم فهذه معاملة وسيلة ألسنا نتخذ منه أداة للمحافظة على مشروعية القانون وربما ننفذ فيه حكم الإعدام ليكون عبرة لغيره من الناس الذين قد ينحرفوا عن القانون فتصبح معامل الأشخاص وسيلة للوصول إلى غاية مشروعة[1].

أما القاعدة الثالثة التي ترى أن لابد لإرادة مخلوق عاقل أن تشرع لنفسها وللغير فهي في نظر الكثير من النقاد قاعدة جوفاء فهي تطلب من الإرادة ان تصدر قوانين كلية احتراما للواجب دون أي باعث آخر لكن هذه الإرادة لا تستطيع أن تحقق أي شيء دون أي باعث، لأن كل أفعالنا لا بد لها من رغبة فالأفعال الصادرة عن غير رغبة أفعال خيالية لاوجود لها في البشرية جمعاء[2].

3- من فكرة الواجب إلى الميتافيزيقا والدين:

يتطرق **كانط** إلى الميتافيزيقا والدين من خلال نظريته في الواجب المطلق فالحقائق الميتافيزيقية مثل فكرة الله والحرية وخلود النفس هي حقائق يعجز العقل النظري على اثباتها فإذا حاول البحث فيها وقع في التناقض وعليه فإن الميتافيزيقا لا يمكنها أن تعتمد على أساس العقل بل يمكن أن تتأسس على دعامة الخلقية تعرف بالواجب الخلقي وكذلك بالنسبة للدين في هذه المسالة يربط **كانط** بين الدين والواجب الأخلاقي لأن الدين عنده هو دين عملي يجمع بين الأخلاق واللاهوت.

[1] – محمد مهران رشوان : **تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية**، ص 174.

[2] – المرجع نفسه، ص 174.

وبما أن الواجب أمر مطلق صادر عن الإرادة الخالصة إلى إرادة منفعلة بميول حسية **«فلا بد من واسطة تصل بينهما تتمثل في الحرية فالواجب ليس ممكنا إلا بالحرية لأنه إذا كان على الإنسان واجب لابد له من قدرة على أدائه»**[1]، هذا يعني أن الحرية باعتبارها قاعدة من قواعد الواجب الأخلاقي وشرط ضروري للقانون الأخلاقي تعتبر بمثابة الدعامة للقيام بالواجب الخلقي بالإضافة إلى ذلك هي تفرض نفسها على القانون بحكم إنها خاصية الكائنات العاقلة وهذه الكائنات لا تعمل إلا بفكرة الحرية.

ينتقل **كانط** من فكرة الواجب الأخلاقي إلى الميتافيزيقا من خلال بيان أن الدعائم الاخلاقية تقوم على الشعور بالواجب الصادر عن العقل، والواجب يشترط فكرة الحرية للقيام بالفعل الاخلاقي باعتبارها مسلمة من مسلمات العقل العملي التي قد اعتمدها كانط إلى جانب خلود النفس، فالإنسان هو كائن عاقل وحاس لا يمكن له أن يتجرد من ميوله الحسية لكي يبلغ الكمال الأخلاقي من خلال تحقيق الخير الأسمى ولتحقيق هذا الخير **«يجب أولا أن تكون الفضيلة الكاملة أو القداسة ممكنة لكن الانسان مركب من طبيعتين قاصر عن بلوغ القداسة ،فإن معنى القداسة هو قهر الحساسية قهرا تاما من حيث إنها أنانية في صميمها، فإن الانسان إن لم يكن في طاقته أن يكون قديسا فهو يستطيع أن يرتقي إلى غير النهاية نحو القداسة بإضعاف الميول الحسية وحتى يكون هذا الترقي ممكنا يجب ان تدوم شخصيتنا وذلك هو خلود النفس»**[2].

هذا يعني أن الإنسان لا ستطيع ان يكون إنسانا خيرا ساميا إلا بتحقيق القداسة فيه من خلال طاعة الواجب وقهر الحساسية حيث يصبح إنسانا لا تتحكم فيه رغباته باعتبارها أنانية تعبر عن حب الذات وتتعارض مع الخلقية التي تسعى لتحقيق القداسة والخير الأسمى

---

[1] – يوسف كرم: **تاريخ الفلسفة الحديثة**، ص262.

[2] – المرجع نفسه، ص 264.

فهذا الأخير «**مطلب ضروري يقوم في ترقي لانهائي نحو التوافق الكامل مع القانون الأخلاقي والترقي إلى مالا نهاية يكون ممكنا فقط كموضوع حقيقي لإرادتنا بموجب افتراض خلود النفس**»[1] .

إن افتراض وجود الله مسلمة من مسلمات العقل العملي المجرد تعمل على امكانية تحقيق الخير الأسمى الذي يرتبط بالضرورة بالواجب فالافتراض بوجود الله ضروري بشكل أخلاقي ليس بوصفه أساسا لكل الزام بل من أجل تحقيق الخير الأسمى في العالم، و افتراض وجوده مرتبط لوعينا بواجباتنا والقدرة على ادراك موضوع الخير الاسمى تكون عن طريق القانون الاخلاقي بوصفه عمليا يمكن ان يسمى ايمانا عقليا مجردا وهكذا إن مفهوم الخير الاقصى موضوع الغاية النهائية للعقل العملي المجرد والقانون الاخلاقي يؤدي بنا إلى الدين[2].

وبالتالي ان«**الحرية والخلود والله امور يؤدي اليها العقل العملي وان عجز العقل النظري عن البرهنة عليها فهي مسلمات العقل العملي وهي عقائد، لا عقائد شخصية ذاتية بل موضوعية كليه لان العقل نفسه هو الذي يفرضها، فهي عقائد مشروعة التسليم بها إقرار بتقديم العقل العملي على العقل النظري**»[3]، وهذا الأخير عقل يتعذر عليه الخوض في مثل هذه المسائل ومن خلال هذا تبين لنا موقف كانط منه في المجال الديني وهذا ما يسميه **كانط** باللاهوت النظري في مقابل دين الأخلاق الذي يعتمده العقل العملي المجرد.

---

[1] – فريال حسن خليفة: **الدين والسلام عند كانط**، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2001،ص 79.

[2] – المرجع نفسه، ص 79.

[3] – يوسف كرم: **تاريخ الفلسفة الحديثة** ،ص265.

ثانيا: طبيعة وخصائص القيم الأخلاقية

1- طبيعة القيم الأخلاقية:

تعتبر القيمة الأخلاقية في فلسفة الأخلاق لدى **كانط** على إنها قيمة ثابتة يقينية مطلقة في أفعالها بالإضافة إلى إنها فلسفة لها من الاستقلال ما يميزها عن باقي الفلسفات الأخرى، حيث جعلت من الإرادة الخيرة العاقلة أهم مرتكزاتها فأصبحت تأخذ طابع الخير كخاصية لها، وخيرتها لا تستمد من المقاصد أو الغايات التي تحققها بل هي غاية في ذاتها وتتحدد بالفعل الذي يؤدى احتراما للواجب وتقدير له، وهذا يعني أن القيمة الأخلاقية« **لأي فعل تكمن في الإرادة الخيرة بغض النظر عن الغايات التي يمكن أن يحققها هذا الفعل لهذا يقرر كانط أن صدور الفعل الأخلاقي عن أي شعور أو تعاطف لا ينطوي على أي قيمة خلقية، اللهم إلا إذا كان خاضعا لتوجيه العقل المحض**»[1] وبالتالي إن العقل لدى **كانط** هو الأساس والمصدر لكل قيمة أخلاقية باعتباره وسيلة للتمييز بين ما هو أخلاقي وغير أخلاقي وهو الذي يشرع ويضع مختلف القوانين والقواعد الأخلاقية .

إن القيمة الأخلاقية عند كانط تتصف بالكلية والشمولية أي تتجاوز كل زمان ومكان، مرتبطة بالإرادة الخيرة بحيث تكون قيمة الفعل متضمنة في خيره لأن القيمة لا تكون قيمة إلا في فعف معين«**وهي تقوم بهذه المهمة لتعرب عن امتلاكها لنفسها وعن تحررها، واستقلالها، وتخلصها من كل ما هو غريب، وتعرب عن الشخص الذي يتصف بها في خدمته للقيمة**»[2].

---

[1]- إبراهيم زكرياء: **المشكلة الخلقية** ،ص169.

[2]- الربيع ميمون: **نظرية القيم في الفكر المعاصربين النسبية والمطلقية**، الشركة الوطنية للنشروالتوزيع، الجزائر، 1980، ص312.

2-خصائص القيمة الأخلاقية:

أ-القيمة الأخلاقية مستقلة عن الوجود:

إن القيمة في فلسفة **كانط** الأخلاقية مستقلة تماما عن الوجود «**فالعقل العملي فيها هو الذي يخضع الحوافز الحسية والانفعالية إلى مبادئ قبلية، وهو الذي يجعل العمل الأخلاقي خضوعا لتشريع عام نحو منشئوه أو واضعوه، ومبادئ هذا العقل هي التي ترسم لنا صورة الواقع الذي نتطلع إليه، وهي التي تمنح الأخلاق استقلالها وتعتقها من كل تداعية للوجود وهي التي تظهر لنا طابع قيمها الجوهري**»[1]وهذا يعني أن **كانط** يقر باستقلالية القيمة الأخلاقية وقيامها بذاتها فهي لا ترتبط بالوجود لا من قريب ولا من بعيد ويؤكد على مدى ارتباطها بالعقل العملي ومبادئه الأخلاقية القبلية.

يعتبر **كانط** ان القيمة مستقلة عن الوجود ويفصل بينها وبينه، والقيمة في نظره بعيدة عن الوجود ومع هذا فهو يحاولان يقرب بين قيم الجمال والطبيعة من خلال نظريته في الجمال باعتبار أن الصورة الجمالية في حين تأملها حسيا وروحيا معا تظهر روحها الجميلة بصفة كاملة، وهذا الانسجام بين الحس والروح لا يربط بين الوجود والقيمة في نظر **كانط** بل هو انسجام مرتبط بالمظاهر الخلابة الساحرة[2] .

في هذا الطرح قلب **كانط** المسائل عما كانت معتادة عليه في الفلسفات الأخلاقية السابقة التي تعتبر أن القيمة الأخلاقية قيمة تقوم على الوجود وترتبط به ارتباطا وثيقا، فأراد **كانط** من خلال ذلك أن يجعل القيمة مؤسسة على الجماليات وترتبط بالجمال الطبيعي للوجود.

---

[1] – الربيع ميمون: **نظرية القيم في الفكرالمعاصر بين النسيبية والمطلقية**، ص87.

[2] – المرجع نفسه، ص87.

وفي ظل تصور كانطي جديد للقيم الأخلاقية يري **كانط «القيمة الأخلاقية هي ما يجب أن يكون وما يستحق أن يكون، وليست هي الكائن ولذلك فانه يمكننا أن نرى هذا التصور نزعة إنسانية قيمية في فلسفة عصرنا ،إذ أن الإنسان في منظورها هو الذي يخلق قيمه تجاه لامبالاة الوجود الذي لا تتناهى أسراره»**[1]، وبالتالي فالفلسفة الكانطية فلسفة أخلاقية تبحث عن القيمة في الانسان الذي يعمل على خلق القيمة وتقديرها.

إن استقلال القيمة الأخلاقية عن الوجود في فلسفة **كانط** لا يعني تصور الوجود بدون قيمة لأن القيم تطلب التمسك بها بحكم إنها تمد وجودنا بعدا وقدرا، بالتالي فالقيمة حاضرة في كل صور الوجود رغم إنها مستقلة عنها، لأن إعمالنا ونشاطاتنا التي نسلكها قيم بها تستقيم أفعالنا، ويجدر بنا أن نلاحظ كيف جعل **كانط** من القيمة الأخلاقية أساسا لمشروعية الميتافيزيقا عندما أقام العلاقة بين الدين والأخلاق، فأصبحت القيمة الأخلاقية مبرر للعالم ما وراء الوجود[2].

ب–القيمة الأخلاقية مرتبطة بالحرية:

العلاقة بين الحرية والقيمة الاخلاقية علاقة وطيدة لا يمكن فصلها في فلسفة كانط، حيث جعل من الحرية مسعى تتطلع اليه قيم الأخلاق لهذا **«يعتبر مفهوم الحرية حجر الأساس في كل نسق معماري للعقل العملي المجرد بوصفها شرطا للقانون الأخلاقي لا بوصفها موضوعا للفهم »**[3] .

---

[1]– الربيع ميمون: **نظرية القيم في الفكرالمعاصر بين النسيبية والمطلقية** ،ص88.

[2]– بن حجبة عبد الحليم: **القيم الاخلاقية بين النسبي والمطلق** ،ص83.

[3] – فريال حسن خليفة: **الدين السلام عند كانط** ،ص63.

أخذت الحرية في فلسفة **كانط** مفهوما شاملا عندما أصبحت شرطا ضروريا للقانون الأخلاقي وهذا الأخير هو كذلك شرطا لكي يصبح على وعي بالحرية فهذه العلاقة الشرطية تبين لنا أن القيمة الأخلاقية في حاجة إلى الحرية باعتبارها سببا لوجودها فينا«**وأساس القيمة الاخلاقية للفعل أن يكون القانون الأخلاقي هو المحدد للإرادة الإنسانية، إرادة كل موجود عاقل لا يمكن أن يكون شيئا آخر غير القانون الأخلاقي لأن القانون الأخلاقي صورة السببية العقلية وشكل من أشكال الحرية**»[1].

وبالتالي إن القيمة الأخلاقية قيمة ترتبط بالحرية وقائمة عليه من وجهة نظر **كانط** ولا يمكن تصور لوجودها من دونها«**فالقيمة في حاجة إلى الحرية، لأنها تسقطها خارج الموقف فلا تخترق الواقعة ويكون لها قدر لدى لشخص لأنه لا يكون مكرها عليها في هذه الحالة**»[2].

هذا يعني أن القيم الأخلاقية تحتاج إلى حرية كاملة تعمل على الخروج بها من الإلزام والإكراه لترقى بها إلى نوع من أنواع التقدير والاحترام، وهذا ما نراه في فكرة الواجب الأخلاقي رغم أنه يتميز بنوع من الإلزام وهذا لا يعني فقدان الحرية لأن الواجب مستمد من الإرادة وهذه الأخيرة حرة في ذاتها تعمل وفق قانون ذاتي«**فهي صاحبة التشريع لنفسها ولا يشاركها في ذلك سواها ولا قدرة لها على هذا التشريع الذاتي مالم تكن تتمتع بتمام الحرية**»[3]، فالحرية فكرة مركزية في فلسفة الأخلاق الكانطية.

وما نخلص إليه ان الحرية مسلمة ضرورية للقيمة الأخلاقية تقوم عليها الحياة الأخلاقية ولا يمكن تصورها مالم تكن مرتبطة بأي شكل من أشكال الحرية بحكم ان السلوك

---

[1]– فريال حسن خليفة: **الدين السلام عند كانط** ،ص68.

[2]– الربيع ميمون: **نظرية القيم في الفكرالمعاصر بين النسبية والمطلقية** ،ص127.

[3] – طه عبد الرحمن: **سؤال الأخلاق في مساهمة النقد الأخلاقي للحداثة الغربية**، ص36.

الأخلاقي سلوك حر وليس نوع من الأوامر أو النواهي فالحرية في الفعل الأخلاقي تبين لنا أن الإنسان ليس حبيسا لميوله وشهواته ولا عبدا لها بل هو إنسان ذا إرادة حرة عاقلة تصل بنا إلى القيمة الأخلاقية.

ت-القيمة الأخلاقية كلية مطلقة:

إن القيمة الأخلاقية عند **كانط** ليست سوى تحديد كلي مطلق، هي فعل يكمن في ذاته كغاية لا وسيلة لهذا يرفض **كانط** الفعل الأخلاقي الذي يعتبر كوسيلة لتحقيق السعادة لأن القيمة الأخلاقية ستفقد مطلقيتها فتصبح نسبية متغيرة « **فإذا كان هنالك شيء يكون لوجوده في ذاته قيمة مطلقة، شيئا يمكن به غاية في ذاته، أن يكون مبدأ لقوانين محددة عندئذ سنجد في هذا الشيء مبدأ الأمر الأخلاقي المطلق الممكن أي سنجد فيه مبدأ القانون العملي**»[1] هذا يعني أن **كانط** يرى في مبدأ القانون الأخلاقي صفة المطلقية كونه غاية في ذاته دون أي وسيلة فتصبح قيمته الأخلاقية قيمة مطلقة «**فالواجب أمر مطلق بمعنى انه لا يرتبط بأي وسيلة ولا بأي غاية وإنما يربط بين الإرادة وبين القانون الأخلاقي الكلي مباشرة، لا بالأفعال جزئية تؤديها الإرادة، وإنما بالقاعدة الصالحة لأن تكون مبدأ للعقلة والصفة الجوهرية المحددة للأمر المطلق هي أنه كلي**»[2].

بالتالي فإن القيمة الأخلاقية تكتسب خاصية المطلقية الكلية عندما تكون الأفعال خلقية مطابقة للقانون كلي عام يكون بمثابة الدعامة المطلقة لها ولأفعالها ولتحقيق هذا يشترط **كانط** العقل باعتباره المحرك الأساسي للقيمة الأخلاقية الكلية المطلقة .

---

[1]- إيمانويل كانط: **تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق** ،ص106.

[2]- عبد الرحمن بدوي: **موسوعة الفلسفة** ،ص283.

الفصل الثالث: الدين الأخلاقي في مقابل الدين التاريخي

*أولا: الدين الأخلاقي عند كانط

1- علاقة الدين بالأخلاق

2- مبدأ الخير والشر في الطبيعة الانسانية

3- الدين الأخلاقي والسلام العالمي

*ثانيا: الدين التاريخي عند كانط

1- طبيعة الإيمان التاريخي ومبررات نشأته

2- نقد كانط لعقائد الدين التاريخي

3- الفرق بين الدين التاريخي والدين الاخلاقي

أولا: الدين الأخلاقي عند كانط:

1-علاقة الدين بالأخلاق:

قبل التطرق إلى بيان العلاقة بين الدين والأخلاق بجدر بنا الإشارة أولا إلى تعريف كل من الدين والأخلاق لدى **كانط**. إن الأخلاق« **بوجه عام هي سمة ما هو أخلاقي من عمل فردي أو جماعي وتقابلها اللاأخلاقية، ويطلقها كانط على التوافق التام مع القانون الأخلاقي وتلاقي الإرادة والقصد مع فكرة الواجب»**[1].

أما الدين «**في معناه اللغوي هو العادة، والحال، والسيرة، والسياسة، والرأي والحكم والطاعة والجزاء زمنه مالك يوم الدين وكما تدين تدان، ويطلق الدين عند فلاسفتنا القدماء على وضع إلهي يسوق ذوي العقول إلى الخير ،والفرق بين الدين والملة والمذهب، أن الشريعة من حيث أنها مطاعة تسمى دينا ومن حيث إنها جامعة تسمى صلة ومن حيث أنها يرجع إليها تسمى مذهبا ويطلق لفظ الدين أيضا على الشريعة وهي السنة أي ما شرعه الله لعباده من السنن والأحكام»**[2].

بالرغم من تباين الفلاسفة والعلماء في تحديد مفهوم الدين أو في تحديد عناصره إلا أنه يظل مسألة جوهرية في جل الفلسفات الحديثة السابقة أو المعاصرة لها، حيث كانت نظرية كانط في نظرية متميزة باختلاف الرؤى فيها والتأويلات التي قد صاغها كانط في كتابيه(نقد العقل العملي) وكتاب (الدين في حدود مجرد العقل) في إطار ضرورة قيام الدين على الأخلاق وحدها «**فقد جاء تعريف كانط للدين تعريفا أخلاقيا فيقول"الدين هو معرفة وإدراك كل الواجبات كما لو كانت أوامر إلهية، والدين عند كانط كان حاضرا وفى كل مراحله حيث**

---

[1] – إبراهيم مذكور: **المعجم الفلسفي** ،ص5.

[2]– جميل صليبا: **المعجم الفلسفي**،ج1 ،ص572.

إن عصر التنوير في ألمانيا كان أقل جرأة منه في فرنسا فمع اعتماد فلاسفة هذا العصر في كلا البلدين على العقل وعدم الانصياع إلا لسلطانه، إلا أنهم كانوا في ألمانيا اقرب إلى التسليم منهم إلى الرفض وكان الإنسان والطبيعة والله شيئا واحدا تقريبا، فالله هو الغائية في الطبيعة وهو أيضا القائم على قوانين الأخلاق»[1].

تعتبر علاقة الدين بالأخلاق عند **كانط** علاقة وثيقة الارتباط فيما بينهما حيث كان **كانط** أشد الفلاسفة اهتماما بهذه العلاقة وتجلياتها لذلك فإن«**تحديد مفهوم الدين عند كانط لابد من ربطه بالأخلاق ذلك أن الأخلاق تقودنا حتما إلى الدين وعلى هذا النحو تتسع الأخلاق لتصبح مشروع أخلاقي عظيم قدير خارج الإنسان، والدين يقوم في معرفة كل واجباتنا من حيث هي أوامر إلهية أو هو الإيمان الذي يجعل الجوهري في كل عبادة الله يقوم في أخلاقية الإنسان ومن هنا وصف الباحثون الدين عند كانط بأنه دين أخلاقي**»[2]إذن يسمى الدين عند **كانط** بالدين الأخلاقي فمن هذه التسمية يتضح مدى العلاقة بين كل من الدين والأخلاق ذلك لأن الأخلاق تأخذنا إلى عالم ديني بالضرورة لأنها قد تصبح بمثابة المشرع الأخلاقي الذي تتحقق بمقتضاه الأفعال والأوامر الواجبة فتنتهي إلى إنها أفعال دينية أخلاقية.

وبالتالي « **فالدين يفترض الأخلاق مسبقا ولذلك يؤكد أن كل دين لا يفترض الأخلاق مسبقا إنما هو دين العبادات الخارجية والخدمات والمدائح، وكل الأديان الوثنية هي من هذا النوع لا تؤسس على الأخلاق والله فيها مخيف غيور علينا أن نرضيه ونتصالح معه بالتملق والبخور**»[3] هذا يعني أن الدين الذي لا يؤسس على الأخلاق هو دين

---

[1]– غيضان سيد علي: **الدين الأخلاقي في مقابل الدين التاريخي**، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الرباط، www.mominoun.com ، ص5.

[2]–عبد الرحمن بدوي: **فلسفة الدين والتربية عند كنت** ،ص10.

[3]– فريال حسن خليفة :الدين **والسلام عند كانط** ،ص82.

تاريخي يقوم على عبادات خارجية، ولا يعرف الله عن حق لأنه يقوم بتلك العبادات بغية مرضات الله بفعل الخوف منه ويضيف **كانط** أنه «**يجب أن تكون الأخلاق أساس الدين والأخلاق كهذه واجب مطلق يلزمنا أن نكون أخلاقيين في ذاتنا ولذاتنا ،مهما كان الآخرون أخلاقيين أو غير أخلاقيين علينا أن نلتزم الواجب بغض النظر عن الأمل في أن نكون سعداء، ولكن هذه الأخلاق تبدو مستحيلة بدون افتراض موجود أسمى وعادل، بدونه الأخلاق تكون مطلقة صورية فهو الذي يعطي التحقق للخير الأقصى أو للكمال**»[1]. إذن الدين يعتمد على الأخلاق، والأخلاق واجبة علينا ونحن ملزمون بها مع أن واجبنا ليس تحقيق السعادة بل تحقيق الخير السامي فينا وصنع كل ما هو خير من طرف ذواتنا المتخلقة.

وبالتالي« **إن للدين الأخلاقي ضرورة عند كانط، بل إنه اعتبره دين فطرة الذي يتأسس وجوده في الشعور الأخلاقي، ولهذا كانت الأخلاق مجرد افتراض مسبق لوجوده، وهو دين مختلف تماما عن الأديان التاريخية بصفة عامة، فهو يقيم نفسه على الأخلاق، فليس الدين العقلي المحض دينا يوضع قبل الأخلاق و يعينها، بل هو دين مؤسس على العقل لأنه يقوم على الأخلاق التي تقوم بدورها على العقل** »[2]هذا يعني أن العقل الذي أقر **كانط** باستخدامه في مسألة الدين أي العقل العملي الذي تقوم عليه الأخلاق ليصبح الدين كذلك مؤسس على هذا العقل لهذا فهو يختلف على النوع الآخر من الدين الذي يقوم على عناصر خارجية تتمثل في الوحي والوقائع التاريخية.

وفي ظل هذه العلاقة التي تمثل«**روح فلسفة كانط، وهو يعطي سمة حديثة جدا لنظريته في الأخلاق موضوعة على أنها يقينية قبل إقامة الدين وموجودة في تعاليمه،**

---

[1]– فريال حسن خليفة : الدين **والسلام عند كانط** ،ص82.

[2]– غيضان سيد علي:**الدين الأخلاقي في مقابل الدين التاريخي** ،ص20.

ولنقل أيضا تسلك مسلكا حليما وعمليا جدا حين تبرز بقدر الإمكان العنصر الأخلاقي في الأديان فهاهنا يوجد بالنسبة إلى العقل نفسه الضمان لسلطانه»[1]، بالإضافة إلى ذلك «**إن الأخلاق في جوهرها، بإقرار كانط نفسه هي خضوع الفرد الكلي والاعتقاد ،ن الطاعة للكلّي هي الحرية والقوة العليا، وإذن فالأخلاق منذ نقطة بدايتها تحتوي على عنصر ديني»**[2]، هذا يعني أن **كانط** من خلال نظريته في الأخلاق تبين له وجود العنصر الديني فيها لأنه يرى أنها موجودة قبل الدين لدى الإنسان بحكم صدقها ويقينها وباعتبارها طاعة وحرية في نفس الوقت.

يمكن القول أن الحرية بحكم إنها شرط ضروري للقانون الأخلاقي فلا بد أن تكون كذلك في العنصر الديني المستمد من الأخلاق، إذن«**إن أصل حاجة البشر إلى الدين لا يكمن في أي نوع من العبودية بل في قدرتهم الرائعة على الحرية، وبالتحديد حرية المصير، حرية إقتراح غاية نهائية لوجودهم على الأرض تليق بعقولهم، أي قدرتهم على إعطاء قيمة أو معني لسيرتهم الخاصة في تدبير أنفسهم ومن ثمة فالحاجة إلى الدين لا تأتي إلى الأخلاق من الخارج بل هي فكرة تنبع من الأخلاق»**[3].

وما نشير إليه من خلال هذه العلاقة بين الأخلاق والدين أن **كانط** قد أشاد «**بالعمق الأخلاقي للدين لأنه بدون الأخلاق لا غناء في الدين، أي هكذا آل التفكير في الأخلاق الخالصة إلى اعتراف بوجود مبدأ فاعل**

---

[1] –إميل بوترو: **فلسفة كانط**، ،ص382.

[2]– المرجع نفسه ،ص383.

[3] – إيمانويل كانط: **الدين في حدود مجرد العقل**، تر: فتحي المسكيني، دار جداول للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2012، ص 13.

هـــو الله»[1] هـذا يعنـي أن **كـــانط** حـين أقـام هـذه العلاقـة بينهمـا فهـي مـن أجـل تبيـان علاقـة الإنسـان المتخلـق بـالله فيصـبح بضـرورة قصـوى إنسـان متـدين وذلـك مـن خـلال معرفـة الله علـى حـق بفعـل معرفتنـا لواجباتنـا علـى أنهـا أوامـر إلهيـة وبالتـالي «**لـيس ثمـة حاجـة إلـى نمـوذج أو مثـال فـي الأخـلاق والـدين لأن كـل مـا هـو ضـروري وقبلـي لا يحتـاج لمثـال، لأننـا نفهـم ضـرورته قبليـا مثـل قضـايا العلـوم الرياضـية فهـي ليسـت بحاجـة إلـى أمثلـة لأن المثـال فـي هـذه الحالـة لـيس جـزءا مـن البرهـان**»[2]هـذا يعنـي أن العلاقـة واضـحة لا تحتـاج إلـى تحليلهـا أو البرهنـة عليهـا بحكـم إنهـا علاقـة قبليـة ضرورية.

وخلاصة القول «**تتجلى العلاقة بين الدين والأخلاق عند كانط بمجرد النظر لمسلمة وجود الله تعالى، حيث نلاحظ أنها مسلمة ضرورية، وترتبط بفكرة اجتهاد الإنسان في مجال الأخلاق، فهذا الاجتهاد يدفعنا إلى التفكير في كائن كامل طيب تكتمل فيه الفضائل ويمكنه أن يحقق للإنسان المجتهد تلك السعادة، فالله هو الذي يضمن لنا السعادة وهو غاية الفعل الأخلاقي أولا وأخيرا وهكذا يشير كانط إلى تلك العلاقة المتينة بين الأخلاق والدين**»[3].

---

[1] – غيضان سيد علي: **الدين الأخلاقي في مقابل الدين التاريخي** ،ص5.

[2]– فريال حسن خليفة :**الدين والسلام عند كانط**، ،ص82.

[3]– غيضان سيد علي:**الدين الاخلاقي في مقابل الدين التاريخي** ،ص5.

2- مبدأ الخير والشر في الطبيعة الإنسانية:

تقوم فلسفة الدين عند **كانط** على تحليل مبدأ الخير والشر في الطبيعة الإنسانية وهذا من خلال كتابه الدين في حدود مجرد العقل وذلك ببيان صلة الدين بالطبيعة الإنسانية حيث يبدأ بتأكيد هذا المعنى فيقول«**أما أن العالم شر، فتلك شكوى قديمة قدم التاريخ بل قدم الشعر نفسه وهو أقدم من التاريخ، بل قديمة قدم أقدم القصائد، أعني ديانة الكهنة ومع ذلك فإنهم جميعا يرون أن العالم بدأ بالخير، بدأ بالعصر الذهبي، بالحياة في الجنة أو بالحياة أسعد منها مع الكائنات السماوية بيدا أنه لم يلبثون أن يقضوا على هذه السعادة بوصفها حلما فيتحدثون عن السقوط في الشر** »[1] ،هذا يعني أن الخير سبق الشر في الوجود والقدم بدليل أن الحياة بدأت في الجنة بحكم أنها خالية من كل شر ثم كان الشر من خلال وقوع الإنسان في الخطيئة لأن هنالك من يخالف هذا الطرح من خلال بعض المحدثون وقد نشروا فكرة أخرى مضادة مفادها أن العالم يتقدم في إتجاه عكسي أي من الشر إلى الأحسن دون توقف ويوجد في الطبيعة الإنسانية استعداد لهذا التقدم.

بالإضافة إلى هذا«**يعارض كانط كل الآراء التقليدية والدينية في تصور الشر وأن له بداية في الزمان فالشر الأخلاقي كمعلول يشير إلى العلة المرتبطة بما هو بموجب قانون العلية أي الحرية يكون الشر الأخلاقي معلولا حتما عن استعمال الإرادة، فإن كان فعل الإرادة في توافق مع القانون الأخلاقي أي يكون القانون الأخلاقي هو القاعدة المحددة للإرادة يكون الفعل خيرا في ذاته وتكون قاعدته وفقا لهذا القانون هي من كل جانب خيرا**

[1]- عبد الرحمن بدوي: **فلسفة الدين والتربية عند كنت** ،ص19.

وشرطا أسمى لكل خير، وعلى الضد من ذلك يكون الشر في تبني الإرادة قواعد مضادة في القانون الأخلاقي »[1] .

وبالتالي فالشر الأخلاقي الذي يتحدث عنه **كانط** هو شر يعمل بفعل الإنسان في حد ذاته من خلال استخدام إرادته الخاصة فإذا كانت الأفعال إرادية تتناسب مع القانون الأخلاقي فهي خير وإذا كانت لا تتناسب معه فهي أفعال شريرة بالضرورة وهذا لقداسة القانون الأخلاقي لدى **كانط** «**إذن يرفض كانط النظريتين المعروفتين عن مصدر الشر، النظرية القائلة إن الإنسان شرير بطبعه وهذا سبب طرده من الجنة وهبوطه على الأرض(هوبز)،والنظرية القائلة أن الإنسان خيّر بطبعه ويتقدم دائما نحو الأكمل (سينكا- روسو) ويحاول كانط التوفيق بين النظريتين فالإنسان عنده خير وشرير معا أو خير من جانب وشرير من جانب آخر»**[2] إن النظريات الأخلاقية تختلف في تحديد كل مبدأ الخير والشر فهناك من يرى أن الطبيعة الإنسانية طبيعة خيرة وهناك من هو على النقيض(الإنسان شرير بالطبع)أي أن مسالة الخير والشر على كل حال تعود إلى الطبيعة الإنسانية لكن **كانط** خالف هذا وكان يود أن تكون له نظريته الخاصة من خلال التوفيق بينهما.

يبحث **كانط** من خلال الاستعدادين الأصيلين للخير والشر في الطبيعة الإنسانية ويبدأ بالأول أي الخير فيحدد استعدادات الإنسان من حيث الغاية في ثلاث: أولها استعداد من حيث هو كائن للحيوانية يمكن إدراجه إلى حب الذات المادي الآلي الذي لا ينطوي على عقل، ثانيا استعداده من حيث هو كائن حي وعاقل للإنسانية يندرج في حب الذات المادي حيث لا يعتبر الإنسان نفسه سعيدا أو شقيا إلا بالمقارنة مع غيره من الناس أما ثالثا

---

[1] – فريال حسن خليفة: **الدين والسلام عند كانط** ،ص93.

[2] – غيضان سيد علي: **الدين الأخلاقي في مقابل الدين التاريخي** ،ص23.

استعداده من حيث هو كائن عاقل ومسؤول وهو الاستعداد للشعور باحترام القانون الأخلاقي من حيث هو دافع كافي للحرية[1].

إذن يكمن الخير في هذه الاستعدادات فالإنسان هنا كائن حي عاقل يحب نفسه وبالإضافة إلى هذا استعداده لاحترام القانون الأخلاقي وهذا ما يؤدي به إلى إنسان حر في أفعاله لتحديد مبدأ الخير في النفس الإنسانية وهذا كان الاستعداد الخير وفى المقابل قد **«يحدد كانط لأنه عدم إتفاق الإرادة الحرة مع القاعدة الخلقية، وذلك لتدخل بعض الميول الطبيعية التي تشير إلى وجود مثل هذا الشر وجعل البواعث أقوي من القاعدة أو المشاركة فيها فإذا واجهت القاعدة الإرادة الحرة حصل الإنسان على النعيم، أما الفساد الطبيعي فانه لا يتعدى سوء النية أو الخطأ المتعمد ولذلك كانت الأخلاق عند كانط هي صفاء السريرة »**[2] .

هذا يعني أن الإرادة الحرة بالنسبة **لكانط** هي أساس يعتمد عليه في مثل هذه المسائل باعتبارها ترجع إلى الإنسان نفسه بالإضافة إلى بعض الميول التي تقوى على القاعدة الخلقية تجعل الإنسان يخالفها في أفعالها فتصبح أفعال شريرة وإذا كان هناك توافق حدث العكس تماما إذن كل من المبدأين يتوقف على الحرية«**وحسب مقولة كانط: "كل الشر في العالم ينبع من الحرية"فالحيوانات ليست حرة ،ولذلك فهي تعيش وفقا لقواعد، والكائنات الحرة فقط تستطيع أن تتصرف لو حصرت حريتها في إطار القواعد أما حينما تستخدم الحرية وفقا لميولها ورغباتها فإنها حينئذ تخالف القواعد وترتكب الشرور والآثام»**[3] هذا يعني أن الشر لا يمكن رده بشكل صريح إلى الطبيعة أو الميول لأنه حتى ولو كان هذا

---

[1] – عبد الرحمن بدوي: **فلسفة الدين والتربية عند كنت** ،ص21.

[2] – غيضان سيد علي: **الدين الاخلاقي في مقابل الدين التاريخي** ،ص23.

[3] – المرجع نفسه ،ص24.

كذلك فهذا الميل يتمثل في تلك الإرادة الحرة أي ممارسة الحرية طبقا لقاعدة سيئة، لهذا لأن الأشياء الصادرة عن الطبيعة الإنسانية هي سابقة عن ممارسة الحرية .

بالإضافة إلى ذلك «**يعارض كانط فهم مسلّمة الشر الفطري في أن الشر موجود مستمر بقوة معادلة لقانون الواجب، كما يعارض البحث عن أصل الشر في الطبيعة الحسية للإنسان لأن ذلك معناه استعداد كل الدوافع المنبثقة عن الحرية، وذلك يحيل الإنسان إلى مجرد موجود حيواني كما يعارض الحديث عن مصدر الشر بوصفه منحدرا إلينا بالوراثة عن آباءنا الاوائل أو أن له بداية زمانية في الخطيئة كما تقول الكتب المقدسة**»[1].

من خلال معارضة **كانط** لهذه الآراء المبينة لمصدر الشر حيث يرى أن مصدره الحقيقي هو ذلك العقل الحر دون أي استعداد من الدوافع الحسية فهذا من بعض الآراء التي يرفضها **كانط** إلى جانب القول بأن مصدر الشر هو ذلك الموروث الأول أي أنه موروث تاريخي قديم.

لا يمكن أن نعتبر الشر الأخلاقي عنصر موجود مسبقا في طبيعة الإنسان بل يمكن أن تعتبره أنه تصرف تتعارض فيه القواعد والقانون الأخلاقي لأن الشر بالفطرة هو ما ننسبه نحن إلينا فبما أن الشر الأخلاقي«**ليس بسبب لانهائية المشرع الأسمى الذي تعرضت سلطته إلى الإساءة بل من جهة ما هو شر في صلب النية**»[2].

وبالتالي نستطيع أن نقول عن كل من الخير والشر سمات تميز الإنسان عن غيره من الموجودات «**أي إنها سمة فطرية فيه وليس معنى هذا أن الطبيعة الإنسانية تتحمل اللوم**

---

[1] – فريال حسن خليفة: **الدين والسلام عند كانط**، ، ص94 .

[2] –إيمانويل كانط: **الدين في حدود مجرد العقل** ، ص132.

على الشر لأن الأساس النهائي لاختيار قواعدنا يقع في الاختيار الحر لتبني قاعدة أو نقيضها إذا فإن الاستعداد للخير أو الشر كأساس طبيعي فطري ليس مكتسب في الزمان، وأننا غير قادرين على أن نستدل هذا الاستعداد أو بالأحرى أساسه النهائي من أي فعل أصلي للإرادة في الزمان لذلك نسميه صفة لإرادته التي ينتهي إليها»[1].

وعليه فإن هذه الإرادة المحددة لكليهما عن طريق قواعد القانون الأخلاقي وذلك من خلال استطاعتهما على الانحراف عليها أو الأخذ بها لأنها فيه تصبح خيرا قبليا وإذا انحرفت تصبح شرا قبليا وهذا الأخير في الميل إليه يمكن أن نميزه في ثلاث درجات«**أولا: ضعف القلب الإنساني حين يتعلق الأمر الامتثال للقواعد المتخذة ثانيا: الميل إلى خلط الدوافع اللاأخلاقية بالدوافع الأخلاقية، ثالثا: الميل إلى اتخاذ قواعد سيئة أعني شرارة الطبيعة الإنسانية أو القلب الإنساني»**[2].

إذن إن فشل قلب الإنسان في تحقيق القانون الأخلاقي هذا ما يجعله يخالفه فيتسبب في الخلط بين ما هو يحفزه على أمور أخلاقية وأمور لاأخلاقية فيصبح يسلك طريقا طبقا لقواعد سيئة تجعل قلبه ينحرف عن القانون الأخلاقي .

بالإضافة إلى هذا« **يؤكد كانط أن الميل إلى الشر لا يمكن استئصاله، ولكن بالرغم من هذا يمكن التغلب عليه وقهره، لأن أفعال الإنسان حرة»**[3] وفي توضيح لفكرة أن الإنسان شرير بالطبع **يقول كانط:** «**نقصد بالطبيعة الإنسانية الأساس الذاتي لممارسة الإنسان لحريته تحت سلطان القوانين الأخلاقية وهذا الأساس، أيا كانت صفته هو المقدم الضروري لكل فعل ظاهر للحواس، والطبيعة الإنسانية بهذا المعني ليست في مقابل**

---

[1] – فريال حسن خليفة: **الدين والسلام عند كانط** ،ص95.

[2] –عبد الرحمن بدوي : **فلسفة الدين والتربية عند كنت** ،ص23.

[3] – فريال حسن خليفة: **الدين والسلام عند كانط**، ،ص96.

الحرية بل تدل على خاصية إرادته الحرة»[1] هذا يعني أن الطبيعة الإنسانية تنطوي على دوافع ذاتية للقيام بالفعل وبهذا يملك الإنسان إرادة حرة لممارسة الفعل سواء كان هذا الفعل الصادر عن الفرد شرا أو خيرا ومن هنا فالشر خيار ينزع إليه الإنسان بكامل إرداته الحرة فلا يمكن حسبه الحديث عن الخير والشر إلا إذا توفرت الإرادة الحرة في ممارسة الفعل.

إذا «**فالبعد الذي يفصل الخير، الذي يجب علينا ان نحققه لأنفسنا عن الشر الذي ننطلق منه هو بلا نهاية، ومن هذه الجهة فإنما يهم الفعل أي مطابقة السيرة الذاتية لقداسة القانون، لا يمكن البلوغ أليه في أي زمان ومع ذلك فان الهيئة الأخلاقية للإنسان يجب ان تتطابق معه بوصفه البذرة التي منها يجب أن ينمو كل خير»**[2] هذا يعني ان الفرق بين الخير والشر في أنفسنا شاسع. ويجب علينا ترجمة الخير الذي بداخلنا إلى أفعال تتطابق مع الأخلاق الخيرة التي يفرضها علينا القانون الأخلاقي الذي هو منطلق لكل خير في أنفسنا .

3-الدين الأخلاقي والسلام العالمي:

يسعى **كانط** إلى طريق تشقه الأمم والشعوب تلتزم فيه باحترام كل فئة للأخرى فلا داعي للحروب والصراعات وإنما السلام والتقارب يجعلها تكون يدا واحدة فعندما تقل الحروب ويحل السلام ويفسح مجال العدالة والمساواة في العالم تصبح العلاقات وطيدة تجمع بين ما هو أخلاقي وسياسي، وهذا ما أراده **كانط** بالدين الأخلاقي دين البشرية الأوحد باعتباره الدين الوحيد الصحيح في ضل العقائد المتنافرة الموجودة في العالم لهذا يسعى **كانط** إلى تحقيق السلام العالمي من خلال الدين الأخلاقي.

---

[1]- عبد الرحمن بدوي: **فلسفة الدين والتربية عند كنت** ،ص27.

[2]- إيمانويل كانط: **الدين في حدود مجرد العقل** ،ص125.

حيث يرى **كانط** ان العلاقة بين الدين الأخلاقي والسلام العالمي متجذرة ومغروسة في طبيعة الدين الأخلاقي في حد ذاته، ويأخذ التعبير عنها شكلا منطقيا لا يتمثل في كونه اشتمال أو تطابق بل كونه التزام ضروري بين الدين الأخلاقي والسلام ،فالدين الأخلاقي والعقل الذي يعمل على التزام الإنسان بالواجب لتحقيق إنسانيته، وأن خالف الواجب صار حيوان متوحش لأن عمل العقل انتهى وبالتالي فوجود العقل في الدين الأخلاقي يحقق حياة إنسانية تعمل بمقتضى الواجب من خلال فعل الخير والعدل والمحبة والتسامح دون أي منفعة أو مصلحة أو رغبة ذاتية[1].

إذن فالسلام الذي يبحث عنه **كانط** من خلال الدين الأخلاقي سلام مؤسس على العقل حيث يقول«**لكن العقل في علياء عرشه، والذي هو المصدر الأعلى لكل تشريع أخلاقي، يستنكر اطلاقا أن تتخذ الحرب سبيلا إلى الحق ويجعل من حالة السلام واجبا مباشرا**»[2].

هذا يعني أن **كانط** يسعى إلى إقامة دين أخلاقي عقلي يحقق السلام وليس دين تاريخي يتخذ الحروب والصراعات طريقا لاسترجاع الحقوق فهو يعارض مثل هذه الحلول ويضع مكانها التزام بالواجبات لتحقيق السلام العالمي وبالتالي إن الدين الأخلاقي هو ذلك الدين الذي يعمل بمقتضى الواجب من وجهة نظر **كانط** لهذا يرى أن«**السلام والدين الأخلاقي في تلازم ،معنى هذا ان في وجود الدين الأخلاقي يكون السلام وفي غيابه يمتنع السلام، فتحقيق السلام في تلازم ضروري مع تحقيق الواجب الأخلاقي لهذا يؤكد كانط أن**

---

[1]– فريال حسن خليفة: **الدين والسلام عند كانط** ،ص146.

[2]– إيمانويل كانط: **مشروع السلام الدائم**، تر: عثمان أمين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1952،ص46.

إقامة السلام مشكلة أخلاقية،لان تحقيق السلام الأبدي لم يعد خيرا ماديا فحسب بل شرطا صادرا عن تقديس الواجب الأخلاقي»[1].

من خلال هذا يمكن القول أن حلول السلام بين الأمم واجب خلقي ،في حين التزام الانسان به تقل نزاعاته وخلافاته مع الآخرين فالسلام الأخلاقي الذي ينشده **كانط** سلام يقوم على إمكانية تحقيق الواجب الذي توجد به إمكانية تحقيق السلام، ويتم ذلك خلال ثلاث مستويات مترابطة فيما بينها ويؤدي كل منها إلى الآخر وهي:

1-في التزام الفرد الواجب الأخلاقي نحو نفسه، يكون السلام مع النفس.

2-في التزام الفرد الواجب الأخلاقي نحو غيره يكون السلام مع الآخر.

3-سلام الجنس البشري في تحقيق كماله الأخلاقي الأقصى[2].

وفي مقابل هذا الدين يرى **كانط** أن هنالك دين تاريخي«**هو أهم العوامل في نشوب الصراع بين الأمم، الأمر الذي يؤدي إلى تفككها وانقسامها حيث يصنف اليهودية والمسيحية والإسلام عقائد لاهوتية تاريخية، في حين يصف الدين الأخلاقي بأنه الدين الواحد الحق، دين لكل الجنس البشري وهو السبيل لتحقيق السلام المباشر**[3]»، إذا الدين التاريخي في نظر **كانط** هو دين يعمل على اشتعال الحروب وتمزق الجنس البشري في مذاهب إيمانية متصارعة متعادية.

ومن خلال هذا يكون **كانط** قد أقام علاقة بين الدين والأخلاق من أجل تحقيق السلام العالمي في جو من الاحترام والتقدير، فالأخلاق التي أصبحنا في حاجة إليها في حياتنا

---

[1] – فريال حسن خليفة: **الدين والسلام عند كانط** ،ص146.

[2] – المرجع نفسه ، ص 148.

[3] – غيضان سيد علي: **الدين الأخلاقي في مقابل الدين التاريخي** ،ص21.

اليوميـة لتكـون مبـدأ وأسـاس لكـل الأفعـال فـي شـتى المجـالات الاجتماعيـة والاقتصـادية والسياسية هي أخلاق ترتبط بالدين، فيكون السلام نابعا من الإرادة الخيرة الملتزمة بالواجب الأخلاقي، واجب صادر عن العقل.

ثانيا: الدين التاريخي عند كانط

1-طبيعة الإيمان التاريخي ومبررات نشأته:

يرى **كـانط** ان الدين نوعان دين أخلاقي الذي طالما دافع عنه وتبناه ودين تاريخي يرفضه وهو ذلك«**الإيمان التاريخي يفترض الوحي مسبقا وهو إيمان مؤسس على الوقائع التاريخية .إيمان الخضوع والطاعة السلبية إيمان الوحي أو الأوامر الإلهية دليلا للتعامل مع الله وليس مع الإنسان فيحول الدين إلى خدمات وعبادات وطقوس وشعائر استرضاء الله**»[1].

هذا يعني أن هذا الدين يتجسد في العبادات الإلهية والطقوس التي تخدم الذات نفسها وذلك للخلاص من خلال إقامة الصلوات والتعبد في الكنائس والمعابد للحصول على رضى الله فتصبح هناك علاقة وطيدة بين الله والإنسان تكون بمثابة أداة لنجاة وخلاص الشخص عندما يؤدي طقوسه وعباداته لا غير، لهذا «**يرى كانط أن مثل هذا الإيمان التاريخي ليس حيا ولا موجبا للنجاة، و لهذا لا يمكن أن يعد ضروريا، بل هو في ذاته ميت ومن الخرافة أن نقول أنه واجب وضروري لنجاتنا يخطئ ممثلوه حين يعتبرون لوائحه وطقوسه أجزاء جوهرية للدين ذلك لأن مثل هذا الدين لا يحتوي على قيمة أخلاقية** »[2] يرفض **كانط** هذا الدين لأنه دين طقوسي مصلحي أناني يقوم به الفرد لخلاص نفسه فقط إذ لا يشمل على أي

---

[1] – فريال حسن خليفة: **الدين والسلام عند كانط** ،ص49.

[2] –عبد الرحمن بدوي: **فلسفة الدين والتربية عند كنت** ،ص14.

قيمة من القيم الأخلاقية التي يعتمدها **كانط** في فلسفته بل هو دين يعتبره أصحابه انه إيمان صحيح من خلال عباداتهم الإلهية التي تمثل جوهر الدين الحقيقي.

من خلال هذا يمكن القول بأن « **الإيمان التاريخي إيمان التعامل مع الله، يرى الله كالحاكم الدنيوي نسترضيه ونستعطفه إيمان التزلق و التملق، إيمان تاريخي، إيمان في دوائر محددة من البشر، إيمان المؤسسات والمعتقدات الدوجماطقية إيمان يرتبط بقاؤه بالتقليد والنقل**»[1]إذن هذا الإيمان التاريخي هو إيمان يعمل على إرضاء الله دون النظر إلى وسيلة الإرضاء أخلاقية كانت أم لا، حيث يعتبر أصحاب هذا الدين أن الله هو ذلك الحاكم الذي يأمر بهذا الدين وهم من ينفّذ وتكون الأوامر الإلهية من خلال ما هو موحى به سابقا أي ما كانت عليه الأديان السابقة من معتقدات وطقوس.

بالإضافة إلى هذا إن «**كل إيمان يفترض الوحي مسبقا ليس إيمانا عقليا لأنه ليس مؤسس على قانون العقل المجرد وحده، بل هو إيمان مأمور به، ومصدر الأمر ليس داخليا في العقل بل صادر عن الوحي الخارجي، لذلك هو إيمان يعلم وكل أشكال الإيمان اليهودي والمحمدي واللوثري والكاثوليكي هي أشكال من الإيمان التاريخي المؤسسة على الوحي كوقائع تاريخية**»[2]وبالتالي **كانط** لا يخص الدين المسيحي فقط بوصفه بأنه دين تاريخي بل يتحدث عن كل الأديان الوضعية السماوية فيصفها بأنها أديان تاريخية تعتمد على ما يعرف بالوحي بوصفه واقعة تاريخية لهذا «**يرى كانط أن في كل أشكال الدين التاريخي الرسل كانوا هم المعلمين الأوائل فتعليم الدين التاريخي لا يقوم على مفاهيم وتصورات العقل المجرد، ولكن يقوم على معرفة الحقائق التاريخية كالوحي والمعجزات وكل**

---

[1]– فريال حسن خليفة:**الدين والسلام عند كانط** ،ص49.

[2] – المرجع نفسه ،ص43.

إيمان تاريخي يفترض الوحي مسبقا ويعتمد انتشاره وذيوعه على ثبوت صدقه ومن ثم يكون منهجه المشروع قائما على التقليد والنقل»[1].

إذا كان الوحي واقعة تاريخية موجودة باستمرار في تاريخ البشرية فكان يتداول عن طريق التقليد والنقل من أجل المحافظة على بقائه للأجيال اللاحقة و انتشاره ومن هنا فالوحي أنواع كالتوراة الذي أنزل على موسى عليه السلام والإنجيل على عيسى عليه السلام و القرءان على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لهذا كان الالتزام بالوحي واقعة دينية تاريخية منذ القدم إلا أن«**الالتزام في الإيمان التاريخي هو الالتزام بالخدمات و الامتثال والطاعة السلبية لأوامر الوحي، ولا يدخل رؤوس أهل الإيمان التاريخي أنهم عندما يحققون أوامر الله ذلك هو الطريق الأخلاقي ولكنهم يجعلون الله كالحاكم الدنيوي يطلب الخدمة والامتثال والطاعة ويحولون الدين إلى دليل تعامل مع الله وليس مع الإنسان فينشأ مفهوم الدين كعبادة إلهية»**[2].

هذا يعني أنه أصبح دين العبادة والخضوع فقط دون اهتمام للأعمال السلوكية الخيرة التي تحقق التآلف بين الناس فأصبح الدين التاريخي ذلك الدين الذي اعتمد«**الطقوس والعقائد الشكلية التي حلت محل الحياة الخيّرة وبدل أن يرتبط الناس بعضهم ببعض برباط الدين انقسموا ألف مذهب، وأخذوا يلقون في النفوس ضروبا من الورع الكاذب، وحسبوا أن الإنسان لا يسترضي الله رب السماء إلا بهذا الرياء كأنما الله حاكم من حكام الأرض»**[3]إذن الدين التاريخي هو الدين الوضعي الذي يحتوي الأديان السماوية بأنواعها فكل

---

[1] – غيضان سيد علي: **الدين الأخلاقي في مقابل الدين التاريخي** ،ص01.

[2] – فريال حسن خليفة: **الدين والسلام عند كانط** ،ص49.

[3] – محمود زكي نجيب: **قصة الفلسفة الحديثة** ،ص305.

دين له معتقداته وطقوسه الخاصة وهذا ما يجعله دين يتسم بطابع التفرقة والانقسام لا الوحدة والانسجام بين المذاهب الخاصة بكل دين من هذه الأديان.

وفي إطار الموضوع يضيف **كانط«إن هذا الإيمان التاريخي يكمن وراء تمزق وحدة البشرية من خلال أشكال الإيمان متعارضة ومتصارعة، ترى الواحدة منها الأخرى إنها ليست على حق، ومن هنا ينشا الصراع الذي يمزق وحدة البشرية ويضرب بقوة جذور السلام والأمن العالمي»**[1]ذلك لأن معظم الخلافات أو الحروب التي تنشب سببها الرئيسي هو إثبات كل دين أو عقيدة لنفسها جاهدة في توسيع دائرتها الخاصة و اجتذاب التباع لها وهذا ما يزيد في الخلاف بين الأديان أو بالأحرى العقائد على حد قول كانط لأنه يرى أن كل من اليهودية والمسيحية والإسلام عقائد وليست أديان لأن الدين هو الدين الأخلاقي وحده.

وبالتالي**«لو بحثنا في مبررات علم اللاهوت التاريخي في أشكاله العقائدية المختلفة لوجدناها شيء واحد بعينه، فما قام هذا العلم إلا لإرساء أصول كل عقيدة حماية لها، ودفاعا عنها في مواجهة عدو مهاجم أو مخالف رافض أو مشكك ناقد ولهذا يقول كانط(كانت نشأة علم اللاهوت من أجل الدفاع عن الدين ضد عدو مهاجم وإن كان هذا قد تم بالفعل كما يثبت التاريخ، فالإيمان التاريخي ليس إيمانا حرا ولكنه بالفعل خدمة يتعلمها البشر فهو إيمان تاريخي»**[2].

هذا يعني أن هذا الدين هو دين مقيد بالقوانين والتعاليم التي يتلقاها من طرف فئة المتعلمة، إذن فالإيمان التاريخي**«هو إيمان يؤسس ذاته على الكتب المقدسة ،ويحتاج إلى**

---

[1] – غيضان سيد علي:**الدين الأخلاقي في مقابل الدين التاريخي** ،ص01.

[2] – فريال حسن خليفة: **الدين والسلام عند كانط** ،ص44.

حمايتها وأمنها إلى فئة متعلمة يمكنها الضبط والتحكم على نحو ماكان الأمر مع المعلمين الأوائل للإيمان والذي نرتبط بهم بالتعليم والتقليد المستمر»[1].

2- نقد كانط لعقائد الدين التاريخي:

كما أن عقائد الدين التاريخي لم تسلم من النقد عند **كانط** حيث باعتبارها معتقدات دوجماطيقية «**فالعفو والمعجزات والأسرار وسائر هذه العقائد بالنسبة للعقل النظري هي فوق طاقته والعقل يعي عدم قدرته على ذلك وأنه لا يستطيع إشباع مطلبه، و الاعتقاد في مثل هذه المسائل يسمى إيمانا دوجماطيقيا ولذلك ينتج هذه الاعتقادات التعصب والخرافة والوهم والخطأ لأن كل استخدام للعقل النظري في مجال الدين يتوقف ولا نستطيع أن نجده وسيلة لمعرفة هذه المسائل المفارقة بشكل نظري»**[2]هذا يعني أن **كانط** يؤكد على أن عقائد الدين التاريخي هذه عقائد لا يمكن اعتمادها في المعرفة الإنسانية لأنها تقودنا حتما إلى التعصب والوهم على حدود قوله بالإضافة إلى أنه يرفضها في كل من استعمالاتها النظرية والعلمية وحتى«**لو افترضنا أن لهذه الأفكار أو العقائد استعمالا عمليا فإننا ننتهي إلى تناقض استخدام فكرة العفو مثلا يفترض افتراضا مسبقا قاعدة خاصة بالخير وبالتالي فان العفو كخير أقصى لا يكون فعلنا الخاص ولكنه موجود آخر هو الله إذن لا نستطيع أن تأخذ هذه العقائد المفارقة لا من الاستخدام العلمي لأن تأسيس الدين الأخلاقي لايقوم على العقائد بينما كل المعجزات تدل على الخطأ وتؤكد عدم الاعتقاد الأخلاقي»**[3]

بالإضافة إلى هذا يرى **كانط** أن الحروب والصراعات التي تعيشها الشعوب فيما بينها سببها تلك العقائد «**لذلك يقول كانط(إن الحروب التي هزت العالم وأدمت جراحه بكل**

---

[1] – فريال حسن خليفة: الدين والسلام عند كانط ،ص51.

[2] – غيضان سيد علي: **الدين الأخلاقي في مقابل الدين التاريخي** ،ص20.

[3] – فريال حسن خليفة: **الدين والسلام عند كانط** ،ص52.

أشكالها لم يمكن لديها شيء سوى صراع العقائد) ذلك هو الواقع الديني الذي تعيشه البشرية وهو ليس بحديث العهد، بل قديم قدم العقائد التاريخية وإن اختلفت أساليب الحرب لكن يبقى الهدف واحد هو تأكيد عقيدة الذات في مواجهة العقائد الأخرى»[1].

هذا يعني أن كل دين يعمل عن دفاع عن عقيدتها وحمايتها فتنشأ حروب وصراعات«**كما أن الإيمان تاريخي يواجه ضلالتين خطرتين هما التجديف أو الكفر والتحمس الديني الأمر الذي يهدد الحرية والسلام في العالم لذلك سعى كانط لتقديم دين آخر يحقق السلام العالم»**[2].

3-الفرق بين الدين التاريخي والدين الأخلاقي:

يعتبر **كانط** أن الدين الأخلاقي هو ذلك الدين المثالي الذي يتحدد بكل ما هو أخلاقي وفي إطار وصفه لهذا الدين يتصادم مع نوع آخر من الدين وهو دين تاريخي يتحدد بوقائع وعقائد تاريخية حيث كان«**كانط يحدد دائما الدين التاريخي بالسلب ونادرا ما يحدد بالإيجاب، والتحديد بطريقة السلب يكون من خلال التقابل بالتناقض مع الإيمان الأخلاقي، حيث يرى أن هناك فارقا كبيرا بينهما، يجعل كلا منهما يقف على طرف نقيض من الآخر، فيؤسس الدين الأخلاقي على العقل المحض، أي أنه دين مؤسس على الأخلاق والثاني مؤسس على معرفة مفارقة هي الوحي الإلهي»**[3].

إذن يفرق **كانط** بين هذين النوعين من الدين بحكم أن الأول يعتمد على السلوك الأخلاقي الطيب والثاني هو ذلك الدين الذي يعتمد على معرفة الحقائق التاريخية كالوحي

---

[1]- فريال حسن خليفة: **الدين والسلام عند كانط** ،ص57.

[2]- غيضان سيد علي: **الدين الأخلاقي في مقابل الدين التاريخي** ،ص20.

[3]- المرجع نفسه،ص01.

والمعجزات ومن هنا«**يميز كانط بين كل أشكال الإيمان التاريخي والدين الأخلاقي، فالدين الأخلاقي هو الدين الواحد الحق المؤسس على أخلاق العقل، ولكن أشكال الأيمان تتفاضل عند كانط فيما بينها بقدر ما يتضمن كل إيمان تاريخي في نص الموحى أوامر أخلاقية تبدو في جوهرها كأوامر العقل العملي المجرد، أي أن العقل يتبين فيها جوهر دين الفطرة أو الدين الأخلاقي**»[1] هذا يعني أن **كانط** في بداية الأمر أقر بعجز العقل النظري في المسالة الدينية لكنه عاد وأعطى أولوية للعقل العملي المجرد في الخوض في أمور الدين حيث تبين له أن العقل هو جوهر العمل الأخلاقي أو المحرك الأساسي له باعتباره القانون الذي يحكمه.

وبالإضافة إلى هذا«**يفرق "جاك دريدا "بين الدين التاريخي التعبدي والدين الأخلاقي عند كانط حيث يحصي الدين التعبدي الأفضال والنعم الإلهية غير أنه في العمق و فيما يتصل بما هو جوهري لا يحض على العمل ويكتفي بتعليم الصلاة والرغبة، ليس على الإنسان هنا ان يصبح أفضل و أكمل، حيث نجده يأمره بالعمل ويلحق به المعرفة بعد فصلها عنه، فضلا عن حثه للإنسان على تكميل نفسه والرقي بها في مراتب الأخلاق**»[2] إذن الفرق بينهما واضح فهناك دين نستطيع من خلاله ان نفعل بمقتضى الواجب الأخلاقي ويقابله في الطرف الآخر دين يهتم بالجانب من العبادة والخضوع والانقياد فقط من خلال إقامة شعائره

وبالتالي«**قد يحمل كل شخص دينين في قلبه أحدهما عقلي والآخر طقوسي، دين يحيكه ودين يفكر فيه، وإن أحد رهانات الفلسفة هو أن تجعل الدين الذي يحكى إلى الأطفال قابلا**

---

[1]– فريال حسن خليفة: **الدين والسلام عند كانط** ،ص43.

[2]– غيضان سيد علي: **الدين الأخلاقي في مقابل الدين التاريخي** ،ص20.

للتحول إلى مفهومات خلقية في عقولهم وبالتالي قابلا للفهم»[1]هذا يعني أن ذلك النوع من الدين الذي يحكي به فقط هو دين تعمل الفلسفة على تجسيده فيصبح دين متوافر لدى جميع البشر من خلال استخدام عقولهم التي ميزهم الله بها ومن هنا فالإنساني«**يعمل بعقله الخاص على التمييز بين دين تجاري وأناني قائم على طلب النعم والخيرات بواسطة مجرد إقامة الشعائر باعتبارها هي الدين كله وبين دين خلقي كريم ومتواضع وهو دين السيرة الحسنة فحسن .وعندئذ لن يكون المطلوب هو أن يعرف ما يريد الله أن نفعل من أجل أن يعيننا على خلاصنا بل ماذا يجب علينا أن نفعل من أجل أن نكون أهلا لذلك الخلاص»**[2]

وفي ظل هذه التفرقة بين الدين التاريخي والدين الأخلاقي تبين لنا أنهما مختلفان فعلا، فالدين التاريخي مثلا يحتوي أمورا لا اهتمام لها في الدين الأخلاقي ويهمش أمورا أخرى تمثل حجر الأساس في دين الأخلاق ومن هنا«**فالإيمان التاريخي كإيمان مؤسس على الوحي الخارجي يعتمد في ثبوت صدقه على المعجزات والأسرار وكل هذه العقائد والعبادات والطقوس هي تدشين الإيمان التاريخي وهي نوافل لا لزوم لها في الدين الأخلاقي لأنه يقوم على استعداد القلب ليحقق الإنسان كل واجباته الإنسانية نحو البشر بوصفها أوامر إلهية»**[3]وبالإضافة إلى هذا ينبغي أن نميز كذلك بينهما من حيث أن«**الإيمان لتاريخي إيمان المؤسسات الدينية أو الإيمان الكنسي، بينما في الإيمان الأخلاقي**

---

[1]– إيمانويل كانط: **الدين في حدود مجرد العقل** ،ص15.

[2]– المصدر نفسه ،ص17.

[3] – فريال حسن خليفة: **الدين والسلام عند كانط** ،ص49.

تشـريع الإرادة الإلهيـة منقـوش بشـكل أساسـي فـي قلوبنـا، ولا يوجـد شـك فـي أن تشريع الإرادة ينبغي أن يكون تشريعا أخلاقيا »[1].

ويضيف **كانط** إلى هذا ان الإيمان الحقيقي هو ذلك الإيمان الحر، إيمان لا يحتاج إلى عبيد يمارسون الطقوس والشعائر والصلوات دون فهمها بل يحتاج إلى إنسان حر يؤمن من تلقاء نفسه و بناء على ما يمليه عليه عقله لأنه «**إذا كان ثمة شيء يحق للإنسان الحديث أن يفخر به عن السابقين فهو إيمانه العميق بالحرية، بأنه كائن حر لا يدين بقدرته على التفكير بنفسه ومن ثم على إعطاء قيمة خلقية لأفعاله أو لمصيره الخاص، إلى أية جهة كانت مهما علت أو بسطت على عقولنا وذلك تقديرا منه بأن مالا يصدر عن ذات نفسه وحريته،لن يمنحه أي عوض عن النقص في خلقيته»**[2] ، هذا يعني أن كانط يريد من خلال هذا الانتقال بالناس من دين تاريخي يستعبد أصحابه إلى دين أخلاقي يكون فيه الإنسان كائن حر عاقل ومتدين كذلك .

هذا لا يعني أن كانط من خلال« **الإيمان الحر يهدف إلى إبطال دين الشعائر أو دين المعتقدات، بل فقط التعامل معه وكأنه إرادة حاكم العالم كما أوحيت إليه عن طريق العقل»**[3]إذن **كانط** هنا لا يرفض الدين التاريخي وشعائره بل يرفض الاستبداد القائم ضمن هذا الدين ويريد إقامة دين أخلاقي حر يعمل العقل البشري على توجيهه إذا فالفرق بين الدينين هو غياب حرية الإنسان.

---

[1]– فريال حسن خليفة: **الدين والسلام عند كانط** ، ص 50.

[2]– إيمانويل كانط:**الدين في حدود مجرد العقل** ،ص11.

[3]– المصدر نفسه،ص28.

خـــاتمـــة

خاتمة:

وفي الأخير ومن خلال عرضنا لهذه الدراسة المتواضعة، والتي تناولنا فيها مشكلة الدين من جانب أخلاقي، باعتبار أن الدين في نظر **كانط** قائم على أساس الواجب الأخلاقي فهو يرى أن الدين الفعلي والحقيقي يكمن من خلال أداء الواجب باعتبار أن تلك الواجبات أوامر إلهية، ومن خلال هذا توصلنا إلى جملة من النتائج :

_يعتبر الجانب الديني من أهم منطلقات الفلسفة لدى **كانط**، وقد بدى هذا واضحا في تكوين فلسفته الكانطية فقد إتضح لنا من خلال هذه الدراسة أن **كانط** تشبع بروح تربية التقوية البروتستانتية، المرتكزة على الأفئدة النقية والسلوك القويم ودين السيرة الحسنة.

_طبق **كانط** منهجه النقدي على الفلسفة فتناول نظرية المعرفة والفن والأخلاق، وقد وصلت فلسفته النقدية الى النضج في كتابيه: نقد العقل المحض، ونقد العقل العملي.

_نقد **كانط** الميتافيزيقا من أجل أن يجعلها علما يشبه العلوم الاخرى أي أراد أن يقيم الميتافيزيقا على أسس علمية وذلك لتأثره بنيوتن في تجاربه العلمية، فكانت هذه غايته الاسمى من خلال فلسفته النقدية.

_أراد **كانط** أن يكون فيلسوفا مجددا، رفض أن يؤسس الأخلاق على أسس أخرى غير الارادة الخيرة والواجب الأخلاقي، فخالف كل النظريات الاخلاقية السابقة الدوجماطيقية التجريبية، كما رفض أن يقيم الأخلاق على الدين والميتافيزيقا بل العكس فقد أسس الدين والميتافيزيقا على الاخلاق، فيخالف **كانط** بهذا الطرح الفكر الأخلاقي السابق له.

_يرى **كانط** أن الأخلاق قانون ينطبق على السلوك الانساني في حين أن الفلسفة المعاصرة اثبتت أن القيم الأخلاقية خاضعة لظروف الزمان والمكان واختلافهما فهي نسبية، فيرفض

كانط هذا ويؤكد على مطلقية القيمة الأخلاقية وكليتها، إلى جانب استقلالها عن الوجود وهذا ما تتميز به فلسفة كانط الأخلاقية.

_يجعل **كانط** من الأخلاق أساسا للدين باعتبار أن الأخلاق على أنها واجب يجعل الانسان يكون أخلاقيا في ذاته ولذاتها.

_ الأخلاق بالنسبة للإنسان لا يفرضها الانسان بل هناك موجود أعظم من الانسان يفرض وجود الاخلاق حيث يقر **كانط** بأن الاخلاق تتضمن العنصر الديني منذ بداياتها وذلك يتجلى من خلال أن الفرد كان يمارس الخضوع والاعتقاد بوجود قوة أعظم منه .

_ إن للدين الأخلاقي عند **كانط** ضرورة باعتباره دين فطري يتمركز في الشعور الاخلاقي، ولهذا اراد **كانط** القول بأن الأخلاق مجرد افتراض مسبق لوجود الدين، إذا **كانط** يقيم الدين على الأخلاق لا الأخلاق على الدين .

_اهتم **كانط** بالدين الأخلاقي ذلك الدين الواحد الحق المؤسس على أخلاق العقل فهو يهمل الدين التاريخي، دين الطقوس والشعائر القائمة على الخضوع والانقياد ويريد إقامة دين أخلاقي حر يعمل العقل البشري على توجيهه.

_جعل **كانط** من الدين الأخلاقي دين البشرية الأوحد من خلال تحقيقه للسلام والتقارب بين الشعوب وجعلها أمة واحدة لأنه دين العدالة والمساواة، فهذا الدين الأخلاقي يقابل الأديان التاريخية تلك الأديان المتصارعة فيما بينها، فيأتي كانط بالدين الأخلاقي كبديل للدين التاريخي.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا: قائمة المصادر

1. إيمانويل كانط: **الدين في حدود مجرد العقل**، تر: فتحي المسكيني، دار جداول للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2012م.

2. إيمانويل كانط: **تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق**، تر: عبد الغفار مكاوي، منشورات الجمل،1963م.

3. إيمانويل كانط: **مشروع السلام الدائم**، تر: عثمان امين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1952م.

4. إيمانويل كانط: **مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة**، تر: نازلي إسماعيل، موفم للنشر،1991م.

5. إيمانويل كانط: **نقد العقل العملي**، تر: غانم هنا، المنظمة العربية للترجمة ،بيروت، ط1، 2008م.

6. ايمانويل كانط: **نقد العقل المحض**، تر: موسى وهبة ،مركز الانماء القومي .

7. إيمانويل كانط: **نقد ملكة الحكم**، تر: غانم هنا، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2005.

ثانيا: قائمة المراجع:

1. أميرة حلمي مطر: **فلسفة الجمال أعلامها ومذاهبها**، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1997.

2. إميل بوترو: **فلسفة كانط**، تر: عثمان أمين ، الهيئة العامة للكتاب،مصر،1972.

3. برتراندراسل: **تاريخ الفلسفة الغربية**، تر: محمد فتحي الشنيطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية،1988.

4. جيل دولوز: **فلسفة كانط النقدية**،تر: أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ،بيروت،1997.

5. الربيع ميمون: **نظرية القيم في الفكر المعاصر بين النسبية والمطلقية** الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ،1980.

6. زكرياء إبراهيم: **المشكلة الخلقية**، مكتبة مصر ،ط1، 1969.

7. زكي نجيب محمود: **قصة الفلسفة الحديثة**، لجنة التأليف والترجمة والنشر ،القاهرة ،1936.

8. زكي نجيب محمود: **موقف من الميتافيزيقا**،دار الشروق،بيروت،ط2، 1982.

9. عادل العوا: **العمدة في فلسفة القيم**، دار طلاس، دمشق،ط1،1986.

10. عبد الرحمن بدوي: **فلسفة الدين والتربية عند كنت**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

11. عثمان أمين: **رواد الفلسفة المثالية في الفلسفة الغربية**، دار المعارف ،1967.

12. فريال حسن خليفة: **الدين والسلام عند كانط**، مصر العربية للنشرو التوزيع، القاهرة،ط1، 2001.

13. محمد عثمان الخشت :**الدين والميتافيزيقا في فلسفة هيوم**، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

14. محمد فتحي عبد الله: **الجدل بين أرسطو وكانط**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1995.

15. محمد مهران رشوان: **تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية**، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة،1998.

16. محمود زيدان: كانط وفلسفته النظرية، دار المعارف ،الاسكندرية ،ط3،1979.

17. وانت كرستوفو أندرجي كليموفسكي: **أقدم لك كانط**، تر: أمام عبد الفتاح، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2002.

18. وليم كلي رايت: **تاريخ الفلسفة الحديثة**، تر: إمام عبد الفتاح، التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط1،2010.

19. يوسف كرم: **تاريخ الفلسفة الحديثة**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012.

ثالثا: قائمة المعاجم والموسوعات:

1. إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع،القاهرة،1983.
2. جميل صليبا: **المعجم الفلسفي**،ج1،دارالكتاب اللبناني،بيروت،1982.
3. جورج طرابيشي: **معجم الفلاسفة** ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1987م.
4. عبد الرحمن بدوي: **موسوعة الفلسفة** ، ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت،1984.
5. على مولا: **الموسوعة العربية الميسرة**،ج3،المكتبة العصرية،بيروت،ط1، 2010.
6. منير البعلبكي: **معجم اعلام المورد** ،دار الملايين ،بيروت ،ط1،1992.

رابعا: المجلات ودوريات

1. حنان علي عواضة: **الفلسفة النقدية لكانط طبيعتها وتطبيقاتها**، العدد203، جامعة بغداد، 2016.

2. غيضان سيد علي:**الدين الأخلاقي في مقابل الدين التاريخي**،مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث،قسم العلوم الإنسانية والفلسفة،الرباط،www.mominoun.com

خامسا: الدراسات السابقة:

1. بن حجبة عبد الحليم: **القيم الأخلاقية بين المطلق والنسبي**، رسالة ماجستير، جامعة وهران، إ. بوشيبة محمد، 2014/2013.

2. دليلة عبد الجبار: **طبيعة الحرية عند كانط من خلال فلسفته النقدية**، رسالة ماجستير، إ.عبد الرحمن بوقاف، جامعة الجزائر،2004/2003.

فهرس

المحتويات **الموضوعات**

الصفحة

شكر وثناء

الإهداء

مقدمة.....**2**

الفصل الأول: كانط وتأسيس الفلسفة النقد.....**6**

أولا: من هو الفيلسوف كانط؟.....**7**

1. سيرته الذاتية.....7
2. مؤلفاته.....8
3. المنابع الفكرية لفلسفته.....9

أ- النشأة الدينية.....9

ب-تاثير نيوتن.....10

ت-تأثير هيوم.....11

ث-تأثير روسو.....12

ثانيا: الفلسفة النقدية ومراحل تطورها.....**13**

1. نشأة الفلسفة النقدية 13
2. مراحل تطور الفلسفة النقدية.....17

أ- المرحلة ما قبل النقدية.....17

ب- المرحلة النقدية.....19

ثالثا: مجالات الفلسفة النقدية.....20

1. النقد في مجال المعرفة.....20

أ- نقد الميتافيزيقا.....20

ب- نقد مصدر المعرفة.....21

2. النقد في مجال الجمال.....23

الفصل الثاني: أخلاق الواجب أسسها و طبيعتها.....26

أولا: أسس وقواعد القانون الأخلاقي.....27

1-الإرادة الخيرة والواجب الأخلاقي:.....27

أ- الإرادة الخيّرة 27

ب- الواجب الأخلاقي 32

2- قواعد القانون الأخلاقي:.....38

أ- قاعدة التعميم:.....38

ب-القاعدة الغائية:.....39

ج- قاعدة حرية الإرادة.....40

- نقد نظرية الواجب عند كانط.....41

3- من فكرة الواجب إلى الميتافيزيقا والدين:.....43

ثانيا: طبيعة وخصائص القيم الأخلاقية.....46

1- طبيعة القيم الأخلاقية.....46

2- خصائص القيمة الأخلاقية:.....47

أ-القيمة الأخلاقية مستقلة عن الوجود:.....47

ب-القيمة الأخلاقية مرتبطة بالحرية:.....48

ج-القيمة الأخلاقية كلية مطلقة:.....50

الفصل الثالث: الدين الأخلاقي في مقابل الدين التاريخي.....51

أولا: الدين الأخلاقي عند كانط:.....52

1- علاقة الدين بالأخلاق:.....52

2- مبدأ الخير والشر في الطبيعة الإنسانية:.....57

3- الدين الأخلاقي والسلام العالمي:.....62

ثانيا: الدين التاريخي عند كانط 65

1-طبيعة الإيمان التاريخي ومبررات نشأته:.....65

2-نقد كانط لعقائد الدين التاريخي:.....69

3-الفرق بين الدين التاريخي والدين الأخلاقي:.....70

الخاتمة.....75

قائمة المصادر والمراجع.....78

فهرس المحتويات.....82